

## القسم الأول: الحب في الإسلام

المبحث الأول: الحب الإلهي

□ حب الله تعالى لعباده

□ حب العباد لله تعالى

□ أحباب الله

المبحث الثاني: في حب رسول الله ﷺ

المبحث الثالث: المحبة لله.. والمحبة في الله

المبحث الرابع: حب الشهوات

o b e i k a n d i . c o m



المبحث الأول

## الحب الإلهي

- حب الله تعالى لعباده
- حب العباد لله تعالى
- أحباب الله تعالى

obeikandi.com

## الحب

الحب في اللغة هو ميل إلى الأشخاص أو الأشياء العزيزة أو الجذابة أو النافعة..

والمحبة هي الإرادة.. ومنه قول الله تعالى:

﴿فَيَدْرَجُونَ أَن يَنْظَرُوا﴾ (التوبة: ١٠٨)

لكن المحبة أبلغ من الإرادة. فهي إرادة مع لذة وسرور..

والهيام شدة الحب.. والعشق أشد، والأصل في العشق التصاق

طرفين أحدهما بالآخر. فهو عاشق ومعشوق.. والشغف حب يبلغ

شغاف القلب أي غلافه وقيل: باطنه.

قال تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ (يوسف: ٣٠)، وفسر ابن عباس

الشغف بالحب القاتل، والشغف - بالعين المهملة = دون ذلك.

والحب الإلهي يعني جانبين:

١ - محبة الله تعالى لعباده وهي إنعامه عليهم وإكرامه لهم

وتوفيقة إياهم.

٢ - محبة العباد لله تعالى وهي الزلفى إليه، والولاء لدينه وشرعه.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

(آل عمران: ٣١)

## حب الله تعالى لعباده

الله تعالى خلق الإنسان.. والخلق تكريم لأن الوجود خير من العدم، وقد مر هذا الخلق في رحم الأم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم عظاما مكسوة باللحم، ثم نفخ فيه الروح وأمسك عليه الحياة في ظلمات ثلاث هي: ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، أو هي ثلاثة أغشية صماء تحيط بالجنين، تمنع نفاذ الماء والضوء والحرارة، ثم يخرج الجنين من ذلك القرار المكين بعدما يسر الله له السبيل فيستهل صارخا ليبدأ الحياة على ظهر هذه الأرض.

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ٢١)

ومنح الله تعالى الإنسان نعمًا لا تعد ولا تحصى. فهيا له كل أسباب الرزق والطعام والماء وأحاطه بما ينفعه من السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب.. والإمداد بالنعم رعاية وعناية..

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۝٢٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٣﴾ .

(إبراهيم: ٣٢ - ٣٤)

واصطفى الله الإنسان للتكليف وحمله مسئولية تطبيق منهج الله لقيادة الحياة، والتكليف تشريف، قال الله تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ ﴿٧٦﴾ (الأحزاب: ٧٢)

وكانت الغاية الكبرى من التكليف هي الهداية إلى الحق، والسلام في الحياة، والنور في الدنيا والآخرة..

قال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة: ١٥، ١٦)

وينضوى الخلق والتسخير والإمداد والتكليف تحت الرحمة الإلهية تلك الرحمة التي هي من أسفاه الله الحسنی، وسبق بها القضاء الأعلى في التجلي الأعظم على الإنسان:-

وقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال: قال الله عز وجل: «سبقت رحمتي غضبي».

وفى رواية: قال ﷺ: [لما خلق الله الخلق كتب فى كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتى سبقت غضبى].

وإذا كان الناس يتراحون ويسعون إلى التراحم فإن كل مظاهر الرحمة فى عالمنا هذا لا تساوى إلا جزءاً يسيراً من رحمة الله العامة الشاملة، فهو سبحانه الرحمن الرحيم.

وفى صحيح الحديث قال ﷺ: [جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنه تسعة وتسعين وأنزل فى الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرهما عن ولدها خشية أن تصيبه].

وذات يوم قدم على النبى ﷺ سبى، جاء به عمر بن الخطاب رضى الله عنه، غنمه من معارك المشركين، وكان فى السبى امرأة تبحث عن صبى لها، وظلت تسعى بين مجموعة الأسرى عسى أن تجد صبيها، وفجأة التقطته عينها فأخذته بحنو بالغ وشفقة كبيرة فألصقته بصدرها وبدأت تلقمه ثديها وترضعه.

وكان الموقف مؤثراً فقال الرسول ﷺ معلماً:

أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار؟!

قالوا: لا والله وهى تقدر ألا تطرحه.

فقال: لله أرحم بعباده من هذه بولدها.

وهذه الرحمة العامة في الدنيا تشمل كل كائن. لكن رحمة الله في الآخرة تقتصر على من انتفع بنعمة الدنيا الانتفاع الصحيح، والتزم التكليف وحرص على الأمانة وأخلص لله دينه..

وقمة الرحمة الإلهية هي الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.. قال الله تعالى: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾

فَسَاكِنِبِهَا الَّذِينَ يَأْتُونَكَ بِالْزَكَاةِ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

(الاعراف: ١٥٦ : ١٥٧)

١ - النبوة رحمة لأن بها بيان الحق من الباطل، والرشد من الغي، والهدى من الضلال، والفضيلة من الرذيلة. ولأن بها قانون البشرية في علاقاتها الاجتماعية وبنائها الحضارى ومسيرة وجودها في الحياة.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَذَجَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ، فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَتِهِمْ وَفَضْلِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (النساء: ١٧٤ : ١٧٥)

٢ - التيسير في التشريع الإلهي رحمة. فالتكليف مرتبط بوسع الإنسان حتى يتحقق التوازن الروحي والمادي، وينطلق الإنسان من فطرته السوية ليصل إلى تلك المعادلة الدقيقة في قوله تعالى:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبِغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾  
(القصص: ٧٧)

٣ - قبول التوبة ومغفرة الذنوب رحمة، فمن أقبل على الله تائباً نادماً مستقيماً غفر الله له وبدل سيئاته حسنات وعفا عنه..

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْتَفْرَقُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾  
(الزمر: ٥٣، ٥٤)

وقال جل شأنه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ عَلَىٰ الرَّحْمَةِ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمُ سُوءًا لَّيَجْهَدَنَّ عُزَّتَابٌ مِّن بَعْدِهِ، وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾  
(الأنعام: ٥٤)

٤ - البعث رحمة فقد جعل الله للإنسان موعداً للقائه لن يخلف، تتحقق فيه العدالة الكاملة، وتنجلي فيه الحقيقة الكبرى، ويلقى كل إنسان كتاب عمله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها..

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنْ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ كُمْ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ لَارَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام: ١٢)

وقد أضيف الحب إلى الله تعالى في نصوص القرآن كثيرا بدلالات متعددة:

( أ ) منها ما يجعل الحب علاقة تبادلية تؤكد فضل الله في ثوابه وعطائه ، وعمق إيمان العبد وولائه ..

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

(المائدة: ٥٤)

(ب) ومنها ما يحدد أوصافا تستوجب رحمة الله مثل:

□ التقوى.. قال تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾

(آل عمران: ٧٦)

والتقوى لغة اتخاذ وقاية مما يضر، وشرعا امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه فإنها تقى صاحبها من عذاب الله ، وحقيقة التقوى متوقفة على العلم. فإن الجاهل لا يدري ماذا يتقى؟ ولا كيف يتقى؟ وهي كلفة جامعة لحقوق الله وحقوق العباد.

□ التوكل، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾  
(آل عمران: ١٥٩)

والتوكل على الله في حقيقته الشرعية عمل قلبي قائم على حسن الثقة بالله، والرضا بمواقع القضاء مع الأخذ بالأسباب المأمور بها والاجتهاد في تحصيلها وترك العواقب لله أحكم الحاكمين.

□ التوبة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾  
(البقرة: ٢٢٢)

والتوبة إقلاع عن المعصية وندم على ما وقع وعزم على عدم العود إليها ورد الحقوق لأصحابها واستقامة على الطاعة..

□ العدل، قال الله تعالى: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
الْمُقْسِطِينَ﴾ (١٢)  
(المائدة: ٤٢)

والعدل وضع الشيء في موضعه، والأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، والتوزيع.. على سواء بلا زيادة ولا نقص.

□ الجهاد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ  
صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْمُوسٍ﴾  
(الصف: ٤)

والجهاد بذل النفس والنفيس ردًا للعدوان وتأمينًا للعقيدة، وحفاظًا على كرامة الإنسان.

(ج) ومنها ما يبدهه الله على عباده من النعم أو ما يكشفه من النقم أو ما رفعه من البلاء..



## حب العباد لله تعالى

(الرحمن: ٦٠)

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾

**قانون** عام ذكره الله تعالى في حق المؤمنين وجزائهم في جنات النعيم والفردوس المقيم، لأنه لا أحد أوفى من الله، وقد وعد - ووعد الحق - أن يجزى الحسنى وزيادة لمن خلص دينه وصدق ولاؤه واستقام سلوكه وحسن خلقه..

ويأتى التنازل عن هذا القانون في حق البشر، هل هم أوفياء لنعم الله شاكرون فضله؟!!

قد نجد كثيرين تنطق ألسنتهم بحمد الله واصفين أنفسهم بحب الله وتنحصر قضية الحب عندهم في كلمة ودعوى، وتضيع الحقيقة الكبرى..

إن حب العباد لله تحدده الآية الكريمة: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١، ٣٢) فصحة الدعوى متوقفة برهانها وهو الاتباع للمنهج الذي حدده الرسول ﷺ بهذه الحقائق:

(أ) الإيمان: وهو التصديق اليقيني بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره..

(ب) الإسلام: وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.

(ج) الإحسان: وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وصاغ بعضهم هذا المنهج فى نظم شعرى هكذا:

عمدة الدين عندنا كلمات أربع قالهن خير البرية  
اتق الله وازهد ودع ما ليس يعينك وأعملن بنية  
والإشارة فى هذا النظم إلى الأحاديث الشريفة الآتية:

١ - عن أبى جندب بن جنادة وأبى عبد الرحمن معاذ بن جبل رضى الله عنهما عن الرسول ﷺ قال: [اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن].. (رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح).

٢ - عن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته أحببى الله، وأحبنى الناس، فقال: [ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس]. (حديث حسن رواه ابن ماجه).

٣ - عن أبى هريرة رضى الله عنه: قال: قال الرسول ﷺ: [من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه]. (حديث حسن رواه الترمذى)

٤ - عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: سمعت الرسول ﷺ يقول: [إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه].. (متفق عليه)

إن هذا النهج المركب من الإيمان والإسلام والإحسان يتحقق بطريقتين متلازمين هما:

- طريق القرب بأداء الفرائض والقيام بالأركان
- وطريق الحب بأداء النوافل والسنن.

ولن يتحقق الحب بغير القرب فلا تقبل نافلة حتى تؤدي فريضة، فليس معقولاً أن يترك إنسان الصلوات الخمس ثم يتعبد ليلاً...! وليس مقبولاً أن يدع إنسان صوم رمضان ثم يصوم يوم عرفة وعاشوراء..

وليس منطقيّاً أن يقرأ إنسان القرآن ثم ينتهك أحكامه وتشريعاته.. ومتى ترقى العبد من مرتبة القرب إلى مرتبة الحب لله باده الله تعالى حبا بحب ووصلا بوصل وكان من أولياء الله الذين يتولاهم الله بالرعاية والعناية والحفظ ويتولون شرع الله بالتطبيق والالتزام..

وفى صحيح البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى قال: (من عادى لى وليا فقد



## أحباب الله تعالى

أحباب  
الله لهم قيم يلتزمون بها وآداب يتحلون بها، وأخلاق يتميزون  
بها، فمن أحب الله أحب شرعه ودينه. ومن أحب الشرع  
والدين التزم ووفى..

فالعامل الصالح هو حلقة الوصل بين طرفي الحب من الجانب الإلهي  
الأعلى ومن الجانب البشري الأدنى.

ومن الدعاء المأثور:

(اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى  
حبك).

ونسوق نماذج لأحباب الله تأسيلاً لمنهج الحب، وبياناً لقيمه، ودعوة  
إليه..



## التوابون

حبيب الله يفرح به ويمنحه رضوانه ويمدحه بأنواره ويسوقه إلى النعيم المقيم.. **التائب**

قال الله تعالى: ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٨﴾

(التحريم: ٨)

وفي صحيح مسلم، قال رسول الله ﷺ: [لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: (اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح).]

وقد جاء الأمر الإلهي بالتوبة عاما في قوله تعالى: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: ٣١)

وحقيقة التوبة الشرعية إقلاع عن المعصية، وندم على ما وقع، وهزم على عدم العود إليها، واستقامة على منهج الله.

فلا توبة مع الإصرار فالذى يمارس المعصية ويقيم عليها لا توبة له.

وقد لا يكون الإقلاع عن المعصية توبة، وذلك كمن ترك المعصية لمعنى آخر غير الندم، فمن ترك الفاحشة لعدم استطاعته لها، أو ترك الخمر لضررها وظل قلبه متعلقا بها لا يعد تائباً.. فإن التوبة عمل قلبي تصحبه حزمة الجوارح فى استقامة واحدة نحو مرضاة الله تعالى.

ولكى يمحو المرء آثار معصيته يحتاج إلى التزود بالقوى فإن الحسنه تمحو السيئة، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ آيَاتِ أَنْ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِينَ﴾ (هود : ١١٤)

وإذا كانت المعصية متعلقة بحقوق العباد فلا بد من رد المظالم إلى أهلها أو مسامحتهم فيها، وقد سأل رسول الله ﷺ أصحابه يوماً فقال: [أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار]. رواد مسلم.

إن العبد حين يبدأ طريقه إلى الله تعالى بالتوبة يأخذ فى الترقى من النفس الأمازة بالسوء، إلى النفس اللوامة، إلى النفس المطمئنة التى اطمانت

إلى ربها في حكمه وحكمته، وسلكت مسالك الأنبياء والصالحين،  
واستحقت ذلك النداء الإلهي الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٧٧﴾ أَرْجِي  
إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْتَضَةً ﴿٧٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عِندِي ﴿٧٩﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّاتٍ ﴿٨٠﴾﴾ (الفجر: ٢٧: ٣٠)

والتوبة تكون من الكبائر والصغائر على سواء، تكون من الكفر  
والفسوق، وتوبة الكافر هي إسلامه، وتوبة العاصي هي استقامته، قال  
الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴿٣٧﴾﴾  
(الأنفال: ٣٨)

والتوبة بهذا المعنى تلتقى مع الاستغفار فإن قولنا لشخص: استغفر  
الله، يساوي قولنا له: تب إلى الله..  
ف عند الافتراق يكون اللفظان بمعنى واحد..

فإن اجتمع اللفظان في عبارة واحدة اختلف المعنى، فإذا قلت  
لشخص في جملة واحدة: استغفر الله وتب إليه، أصبح الاستغفار  
من معاصي الماضي وأصبحت التوبة من معاصي المستقبل، بمعنى اندم  
على ما مضى من سيئاتك واحذر أن تفعلها في المستقبل.

قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُوا أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ  
عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا جُنُودًا ﴿٥٢﴾﴾  
(هود: ٥٢)

والمسلم فطالب بالتوبة من الذنب وإن تكرر، وكلما أحدث ذنباً جدد  
توبة، عسى الله أن يهديه، وفي صحيح مسلم بسنده عن أبي هريرة

عن النبي ﷺ فيما يحكى عن ربه عز وجل قال: أذنب عبد ذنباً فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أى رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب...

ثم عاد فأذنب فقال: أى رب اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك، قال الراوى: لا أدري أقال فى الثالثة أو الرابعة اعمل ما شئت). وقد وهم بعض الناس فظنوا أن مثل هذا الحديث دعوة إلى استمرار المعصية، ولكن الحقيقة أن الحديث دعوة إلى التطهر المستمر حتى لا يظل الشيطان قابعا فى عقل الإنسان وقلبه) فإن البديل للتوبة المتجددة هو سبيل المعصية الدائم، ولذا قيل للحسن: ألا يستحى أخذنا من ربه يستغفر من ذنوبه ثم يعود، ثم يستغفر ثم يعود؟ فقال: ود الشيطان لو ظفر منكم بهذه، فلا تملوا من الاستغفار.

ولنعلم أن باب التوبة مفتوح لكل عبد. كافراً كان أو عاصياً، يرجع إلى الله ويقطع عن كفره أو معصيته، ويستقيم على الطاعة، ووقت هذه التوبة حياة العبد كلها ما لم يصل المرء إلى مرحلة النزاع الأخير أو الغرغرة فعنئذ لا تقبل توبته..

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَوْبُوا مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا

﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ اللَّهَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧-١٨﴾

(النساء: ١٧-١٨)  
 والمراد بالجهالة فعل الذنب نفسه، وساق الإمام ابن كثير في تفسير تعبيرات على لسان الصحابة والتابعين تؤكد ذلك، قال مجاهد: كل من عصى الله خطأ أو عمداً فهو جاهل حتى ينزع عن الذنب. وكان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل ذنب أصابه عبد فهو جهالة..

وجاءت الأحاديث الشريفة محددة وقت التوبة للعبد، فأخرج الإمام أحمد بسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال: إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر. فالتوبة لا تقبل من أحد شخصين:

□ عاص تامين الموت ووصل إلى حال الغرغرة وبلغت روحه إلى الحلقوم.

□ كافر مات على كفره فلا مغفرة له لأنه قد انقضى زمن التكليف فى الدنيا، ووصل إلى دار الجزاء فى الآخرة. والفرق بين العاصى والكافر فى الآخرة أن العاصى قد يعفو الله عنه وقد يعاقبه على قدر معصيته ثم تنقضى عقوبته ويدخل الجنة.

أما الكافر فهو فى جهنم لا يموت فيها ولا يحيا خالداً مخلداً فيها أبداً. وهناك وقت محدد للتوبة يتعلق بالبشرية جمعاء ولا يخص فرداً بعينه وهو أن باب التوبة مفتوح للبشرية مالم تطلع الشمس

من مغربها مؤذنة بزوال الدنيا وقيام الساعة. وعندئذ لا ينفع  
نفسا إيمانها حتى ولو كانت صحيحة سليمة، قال الله تعالى:

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ  
يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي  
إِيْمَانِهَا خَيْرًا قَلِ أَنْظُرُوا إِنَّمَا مَنْظُرُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٨)

وجاء في صحيح البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه  
قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من  
مغربها، فإذا رآها الناس آمن منْ عليها. فذلك حين (لا ينفع نفسا  
إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا).



## مكفرات الذنوب

ذنوب

الإنسان إما كبائر وإما صغائر.. فالكبائر هي التي قدر لها الشرع عقوبة محددة أو توعدها عليها وعيها شديداً كالزنا والربا والقتل والسرقة والقتل وأكل مال اليتيم وعقوق الوالدين. وكفارة هذه الكبائر إقامة الحد على مرتكبها إن وصل الأمر إلى ساحة القضاء أو التوبة النصوح..

وفي صحيح البخارى بسنده عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: كنا عند النبي في مجلس فقال: يا معونى على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا، وقرأ هذه الآية كلها<sup>(١)</sup>، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارته، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه.

وإن كانت الذنوب صغائر وهي ما لم يزد فيها حد شرعى ولم يتوعد الشارع عليها وعيها شديداً فإن كفارتها تتحقق باجتناب الكبائر وأداء الطاعة وفعل الخيرات مما يكسب المرء حسنات ويمنحه فضلا وثوابا يثقل به الميزان يوم القيامة.

(١) للحديث روايات متعددة. والمراد بالآية آية بيعة النساء في سورة المتحنة.

قال الله تعالى: ﴿إِنْ جَحْتَبُوا كَبَابِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ  
مَسِيئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء: ٣١)

ومكفرات الذنوب من أعمال البر والمعروف كثيرة... منها:

## ١- الوضوء:

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال:  
إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل  
خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل  
يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يده مع الماء أو مع آخر  
قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع  
الماء أو آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب.

## ٢- دعاء الوضوء:

روى مسلم بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أن النبي  
ﷺ قال: (ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد  
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله  
إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء).

## ٣- صلاة ركعتين بعد الوضوء:

روى البخارى ومسلم أن عثمان رضى الله عنه توضأ ثم قال:  
رأيت رسول الله ﷺ توضأ نحو وضوئى هذا ثم قال: من توضأ

## ١٣- الحج:

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه).

## ١٤- العمرة:

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة).

## ١٥- طلب العلم:

روى أبو داود وابن ماجه وابن حبان عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم يستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر).

## ١٦- الجهاد:

روى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله).

## ١٧- قراءة القرآن:

روى الترمذى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف وميم حرف).

## ١٨- الذكر:

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، فى اليوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك).

## ١٩- الصبر على البلاء:

فى صحيح الحديث قال رسول الله ﷺ (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا غم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها). رواه البخارى.



نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ماتقدم من ذنبه).

#### ٤- الأذان:

روى أحمد بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما: قال، قال رسول الله ﷺ: (يقفر للمؤذن منتهى أذانه ويستغفر له كل رطب ويابس).

#### ٥- الدعاء عقب الأذان:

روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته - حلت له شفاعتي يوم القيامة).

#### ٦- الصلوات الخمس:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء قال: فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا).

#### ٧- السعي إلى المساجد:

روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداها تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة).

## ٨- صلاة الجمعة:

روى مسلم بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من توطأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة واستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام).

## ٩- الصدقة:

روى الترمذى فى حديث معاذ، قال النبى ﷺ: الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار.

## ١٠- الصوم فى رمضان:

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه).

## ١١- صيام يوم عرفة:

عن أبى قتادة رضى الله عنه قال: سئل النبى ﷺ عن صوم يوم عرفة قال: (يكفر السنة الماضية والباقية) رواه مسلم والترمذى إلا أنه قال: صيام يوم عرفة إنى أحتسب على الله أن يكفر السنة التى بعده والسنة التى قبله.

## ١٢- صيام عاشوراء:

عن أبى قتادة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صيام يوم عاشوراء فقال: (يكفر السنة الماضية) رواه مسلم.

## المتوكلون

(أ) الإيمان والتوكل:

**العقيدة** الصحيحة هي الدين الخالص الذي لا يعرف معبودا غير الله الواحد الأحد، كما قال جل شأنه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ٥٥﴾ (البينة : ٥)

والعقيدة الإسلامية قائمة على اليقين الكامل بأن الخلق والأمر لله عز وجل، فهو سبحانه صاحب الهيمنة الكاملة على الملك والملكوت.. قال جل شأنه: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا نَحْنُ نَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ٥٩﴾ (الأنعام : ٥٩)

وانطلاقاً من هذه العقيدة فإن الكائنات جميعاً واقعة تحت القدرة الإلهية والسلطان الأعلى، قال جل شأنه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلْمًا لَهُمْ بِالْعُذُورِ وَأَلْصِقَ الْآصَالِ ١٦٩﴾ (الرعد : ١٥) وعلى هذا الأساس فالسلم يتوكل على الله في كافة شئون حياته حتى يحظى بمقام الحب ويكون في كفالة العلى الأعلى.. قال جل شأنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩) وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وَإِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ٣٠﴾ (الطلاق : ٣)

وعندما يقول المسلم هذه العبارة الماثورة ويرددها: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) يكون قد جمع بين الاعتراف بالتوحيد والقدرة والحكمة..

فالتوحيد في قوله (لا إله إلا الله وحده لا شريك له)  
والقدرة في قوله (له الملك..)

والحكمة في قوله (وله الحمد..)

ولهذا جاء الأمر القرآني واضحا صريحا ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ إِلَٰهٍ أَلَدِي لَا يَمُوتُ وَسَمِعَ بِحَمْدِهِ﴾ وكفى به مبتلياً عباده، خبيراً ﴿٥٨﴾ (الفرقان: ٥٨) ولقد جاء في الحكم: من اعتز بغير الله هلك به، فالإنسان الذي يدع التوكل على الله ويركن إلى غيره من منصب أو جاه أو ولد أو مال يكون هلاكه فيما اعتز به من دون الله..

ومن أمثلة ذلك قارون الذي اعتز بماله وقال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عَنِّي﴾ (القصص: ٧٨)، فكان جزاؤه ﴿فَنَفَسْنَا بِهِ وَيَدَارِيهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ

لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ (القصص: ٨١) وحين اعتز فرعون بملكه: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الزخرف: ٥١) فكان جزاؤه أن غرق في البحر وأصبح عبرة للأولين والآخرين.

قال تعالى: ﴿وَجَنُوزًا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْبَحْرِ فَأَنْبَتَهُمْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ بَعْثًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ إِلَّا إِلَٰهٌ أَلَدِي ءَأَمِنْتُ بِهِ إِنِّي

أَيُّرَبِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ أَلَكُنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ  
الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِدَنَّاكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا  
مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ (يونس : ٩٠ - ٩٢)

إن عمق الإيمان يمنح الإنسان عمق التوكل، ويسرى في كيانه  
كله، في مدخله ومخرجه، وفي نومه ويقظته..

وفي حديث رواه أبو داود والترمذي عن أنس رضي الله عنه  
قال: قال رسول الله ﷺ (من قال -يعنى إذا خرج من بيته- بسم الله  
توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: هديت وكفيت  
ووقيت، وتنحى عنه الشيطان) فالمسلم حين يخرج من بيته ويحسن  
اليقين بالله عز وجل ويمارس نشاطه متوكلا على الله مستحضرا  
عظمته يكلؤه الله ويرعاه ويسدد خطاه..

كذلك إذا أوى المسلم إلى فراشه يسلم نفسه إلى الله متوكلا عليه  
مفوضا الأمر إليه، وجاء في صحيح الحديث عن أبي عمارة البراء  
ابن عازب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ (يا فلان، إذا  
أويت إلى فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهيت وجهي  
إليك وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك ورغبة ورهبة إليك،  
لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك  
الذي أرسلت، فإنك إن مت من ليلتك مت على الفطرة، وإن أصبحت  
أصبحت خيرا).

إن الإيمان والتوكل مقترنان لا ينفك أحدهما عن الآخر، فالتوكل على الله قرين عقيدة التوحيد، وقد جاء التعبير القرآني بأسلوب الحصر ليجعل التوكل من دلائل الإيمان وسمات المؤمن الحق، قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الأنفال: ٢)

### (ب) التوكل والأخذ بالأسباب:

التوكل على الله تعالى في حقيقته عمل قلبي قائم على حسن الثقة بالله والرضا بمواقع القضاء، مع الأخذ بالأسباب المأمور بها والاجتهاد في تحصيلها. والقضية في يسر وسهولة هي أن المسلم يعتقد أن الله جل جلاله رتب الأسباب والمسببات، وجعل بينهما علاقة عادية بمعنى أن النار مثلا تحرق عند الملامسة، وهذا الإحراق ليس لازماً لزوماً عقلياً لا يتخلف أبداً، وليس منفكاً، بحيث لانعيره اهتماماً، بل جرت سنة الله تعالى بأن النار تحرق عند الملامسة، وهذا الأثر قائم على السنة التي قدرها الله تعالى. ويجوز أن تتخلف بإرادة الله تعالى معجزة لنبي أو كرامة لولي. ومن هنا فالمسلم يلتزم بالأمر القرآني ﴿حَذُواْ أَحْذَرَكُمْ﴾ (النساء: ٧١) وبالنهى القرآني ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة ١٩٥)، ويحتاط في أعماله كلها احتياطاً كاملاً بقدر ما منحه الله من عقل وما ركب فيه من مواهب، وقبل ذلك وبعده يقول:

﴿كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (النساء: ٧٨).

وسيدنا رسول الله ﷺ - وهو أول العابدين، وأخشى الناس لله وأتقاهم له، وأعرفهم بجلال الله وكماله - كان يعد للأمر عدته، ويأخذ بالأسباب ويباشرها.. فكل غزوات الرسول ﷺ قائمة على التخطيط المحكم الدقيق، وهناك دراسات للعسكرية الإسلامية تبرز مدى القدرة الفائقة في التخطيط للمعارك الحربية..

ومن المعروف أن الرسول ﷺ اختفى مع صاحبه أبي بكر الصديق ثلاثة أيام في غار ثور أثناء الهجرة من مكة إلى المدينة، وعمل خطة محكمة وزعها على مجموعة عدل متكاملة؛ فقد استخلف على بن أبي طالب في فراشه ليوارى عنه أعين المشركين المتربصين بداره، واستأجر أبو بكر رجلاً يدلهما على الطريق هو عبد الله بن أريقط، وكان عبد الله بن أبي بكر يستطلع أخبار المشركين ثم يأتيهما ليلاً فيخبرهما، ومعه عامر بن فهيرة بالغنم ليعفو على أثر الأقدام، كما شاركت أسماء بنت أبي بكر في حمل الزاد..

وعندما استطاع المشركون أن يصلوا إلى الغار ويقفوا على بابه قال أبو بكر رضى الله عنه: نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤسنا فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال رسول الله ﷺ: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟ ونزل قوله تعالى:

إِنَّمَا لِنُصْرَةِ اللَّهِ إِذْ أَنْصَرْتُمْ وَبِغَاثِ الْقَبْرِ إِذْ تُنْفِثُونَ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ  
إِنَّمَا لِنُصْرَةِ اللَّهِ إِذْ أَنْصَرْتُمْ وَبِغَاثِ الْقَبْرِ إِذْ تُنْفِثُونَ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ  
مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْدِيَهُمْ جُنُودٌ لَمْ تَرَوْهَا

وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ  
الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

(التوبة : ٤٠)

والقانون الذي نستخلصه وتؤكدده حوادث التاريخ كلها هو : حقق ما معك من قوى مادية واستنفذ جهدك الإنساني وثق بنصر الله وتوكل عليه .. ولهذا كانت وصية الرسول ﷺ للأعرابي حين أراد أن يهمل ناقته قال له : اعقلها وتوكل ..

ومن المواقف الرائدة لققه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى هذا الجانب ماجاء فى صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام حتى إذا كان ترغ - قرية فى طريق الشام مما يلي الحجاز - لقيه أهل الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه ، فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام ، قال ابن عباس فقال عمر : ادع لى المهاجرين الأولين ، فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام . فاختلفوا ، فقال بعضهم : قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه ، وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء ، فقال : ارتفعوا عنى .

ثم قال : ادع لى الأنصار ، فدعوتهم له فاستشارهم ، فسلكوا سبيل المهاجرين ، واختلفوا لاختلافهم ، فقال : ارتفعوا عنى ..

ثم قال : ادع لى من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فدعوتهم فلم يختلف عليه رجلان فقالوا : نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء ..

فنادى عمر فى الناس: إني مُضْبِحٌ على ظَهْرٍ فأصْبِحُوا عليه. أى عائد على ظهر الراحلة من حيث أتت وراجع إلى وطني فتأهبوا لذلك..

فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفرارا من قدر الله؟! قال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، وكان عمر يكره خلافه، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أ رأيت لو كانت لك إبل فهبطت واديا له عُذوتان (جانبان)، إحداهما خصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيتا الجدبة رغبتها بقدر الله، فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا فى بعض حاجته فقال: إن عندى من هذا علما، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه)، فحمد الله عمر بن الخطاب ثم انصرف.

هكذا يكون التوكل على الله مقترنا بالأخذ بالأسباب..

### (ج) أثر التوكل فى حياة المسلم:

التوكل على الله تعالى سكينة النفس الإنسانية، وطمأنينة للقلب، وهدوء عقلى.. فالمسلم حين يتوكل على الله يمارس حياته بنشاط وتخطيط ومتابعة، ويدع عواقب الأمور له أحكم الحاكمين مؤمنا بالحكمة القرآنية: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦)

(البقرة: ٢١٦)

فالمسلم في حال الغنى والجاه وكثرة الأولاد شاکر للنعمة يستخدمها في حدودها الشرعية، يملكها ولا تملكه، ليس عبداً للدينار والدرهم، وليس مستكبراً على خلق الله، وليس مقتوناً بما منحه الله.. وهو في حال الفقر أو المرض أو ما تكره النفس - صابر محتسب يبتسم للحياة في هدوء وشعارة الدائم قول رسول الله ﷺ: (عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير؛ وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرأ شکر فكان خيراً، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له).

إن التوكل ثقة في الله وكفالتة لعباده الصالحين - تجعل المسلم يتجاوز المخاوف كلها، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَكْفِيهِمْ اللَّهُ وَيُوَفِّيهِمْ كَمَا لَمَّ يَكْفِيهِمْ اللَّهُ وَمَنْ يَضِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾ (الزمر : ٣٦ - ٣٧)

ففي المجال العسكري متى وجد التوكل مصحوباً بإعداد القوة المتاحة تحقق النصر للؤمنين وهاقت الهزيمة بالكافرين.. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخَظْتَهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

(آل عمران : ١٧٣ - ١٧٥)

إن المسلمين يوم واجهوا أعداءهم على مدار التاريخ لم يكونوا بالأقوى عدة ولا بالأكثر عدداً، وإنما حرص المسلمون على الموت فوهبت لهم الحياة، وحققوا القوة المتاحة وتوكلوا على الله فمنحهم النصر المؤزر والفتح المبين..

وفى مواجهة مصاعب العمل وتكاليف المسؤولية متى وجد التوكل على الله تحقق الرضا النفسى، وأدى المرء أمانته لوجه الله وهو سعيد بالمشاق مطمئن إلى العواقب..

وفى أربع سور متواليات ومع أربعة أنبياء كان هذا المعنى واضحاً جلياً..  
ففى سورة التوبة جاء الوصف لسيدنا محمد ﷺ بالحرص البالغ على هداية الناس، والشفقة البالغة على الناس من إعراضهم، وكان التوجيه الإلهى فى هذا المقام هو تفويض الأمر لله وحسن التوكل عليه.. قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

(التوبة: ١٢٨-١٢٩)

وفى سورة يونس جاء موقف سيدنا نوح عليه السلام بعد ما يئس من إيمان قومه، وكان التوكل على الله هو السلوى.. قال تعالى: ﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُورُونَ إِنْ كَانَ كِبْرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيِّنَاتٍ اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً

ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ (يونس : ٧١)

وفي سورة هود كان الموقف الختامي لدعوة سيدنا شعيب عليه السلام هو إبراء الذمة وتوضيح الهدف، وإعلان الغاية مصحوبة بالتوكل على الله. قال جل شأنه: ﴿قَالَ يَفْقَهُمْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتِنَا مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَيْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ (هود : ٨٨)

وفي سورة يوسف آية ٦٧ كانت مواجهة هموم الحياة وضائقاتها بالتوكل على الله. فهو معقد الرجاء وموطن الأمل وحافظ التغاؤل، ويتجلى ذلك واضحا في موقف يعقوب عليه السلام حين فقد يوسف واضطر لإرسال أخيه، وقال: ﴿رَبِّئِي لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَجِدٍ وَأَدْخُلُوا مِن آبُوبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أُلْحِمَكُم إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وحين فقد يعقوب ابنه معا وابيضت عيناه من الحزن ظل الأمل في الله لا ينقطع. قال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنْتِي وَحُزِنِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَبُوا مِنْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ (يوسف ٨٦ - ٨٧)



المبحث الثاني

في حب رسول الله ﷺ

- انشراح صدر رسول الله ﷺ
- الرسول الشاهد ﷺ والأمة الشهيدة
- ذكرى ميلاد رسول الله ﷺ

obeikandi.com

## انشرح صدر الرسول ﷺ

- مفهوم انشرح الصدر
- انشرح صدر الرسول ﷺ بشق الصدر
- انشرح صدر الرسول ﷺ بعلوم القرآن
- انشرح صدر الرسول ﷺ برؤية الآيات
- انشرح صدر الرسول ﷺ بثناء الله عليه
- انشرح صدر الرسول ﷺ بعظم قدره

obeikandi.com

## مفهوم انشراح الصدر

هناك حب لا يتحقق منه شيء ويظل أملا يراود صاحبه حتى يصيبه باللوعة والأسى..

وهناك حب تعقبه حسرات لا يستشعرها المرء إلا بعد وقوعها كحب الشهوات الآثمة.. فمن الحب ما قتل..

لكن أن يكون الحب مصاحباً للسعادة، ملازماً للسور، مقترناً بحسن العواقب، فهذا هو الحب الحقيقي الذي نسميه شرعاً انشراح الصدر، وتلك درجة عليا عايشها الأنبياء والأولياء ومن سار على دربهم وسلك طريقهم..

الشرح هو البسط، وصدر الإنسان معروف، وصدر كل شيء أوله، وانشراح الصدر بسطه بنور الله تعالى، والقاء السكينة فيه.. وانشراح الصدر يرجع إلى العلم بالله تعالى والفقّه في الدين والولاء الكامل للشرع الحنيف..

ولعظم هذا المعنى الكبير والكريم دعا موسى عليه السلام ربه ضارعاً: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (طه: ٢٥)، وذلك عقب التكليف الإلهي له بتحمل الدعوة في قوله جل شأنه: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (٢٤/ طه). فإمانة الرسالة تتوقف على كمال العلم بها والعمل لها..

ومن خلال تتبعنا لانشراح الصدر في القرآن نجد أن الله تعالى جعل الهداية مرتبطة بانشرح الصدر القائم على قبول الإسلام واليقين بحقائق الدين، والولاء للمنهج الإلهي، وجعل الضلال في عكس ذلك.. فقال سبحانه وتعالى: ﴿لَا فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٥)

لقد شبهت الآية الكريمة ضيق الصدر بالتصعيد في السماء حيث يضيق نفس الإنسان كلما ارتقى نظرا لنقص الأكسجين، حتى يصل إلى مرحلة ينقطع فيها النفس ولا يستطيع المرء أن يجد حوله ما يحفظ حياته..

كذلك فإن المنحرف الضال يضيق بشرائع الدين وأحكام الإسلام شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى الشرك، وينقطع عنه النور، وتضيع منه الحياة الطيبة، ويهوى إلى مكان سحيق في جهنم وبئس القرار..

وجعل القرآن انشرح الصدر بقبول الإسلام مقابلاً لقسوة القلب بالخلو عن ذكر الله، فقال جل شأنه: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ فَوَيْلٌ لِلْفُتَيَّةِ قُلُوبِهِمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْ لِيَأْتِيَنَّكَ فِي صَلِّالٍ مُّبِينٍ﴾ (الزمر: ٢٢)

والمقابلة هنا بين أمرين أحدهما مذكور وهو من شرح الله صدره للإسلام والآخر محذوف دل عليه السياق وهو من كان أعمى القلب

معرضاً عن الإسلام. وشتان ما بين الأمرين، فإن القلوب تتسع وتنشرح وتسعد بالإسلام، وإن القلوب تقسو وتضيق وتثقى بالإعراض عن شرع الله والبعد عن ذكر الله.

وعندما يقف الإنسان بضراً مكرهاً أمام طواغيت البشر الذين يفرضون الكفر بسطوة الملك فإن الله تعالى قد رخص للمسلم في كلمة الكفر باللسان تقيةً أمام هؤلاء الجبابرة إنقاذاً لنفسه وإحياء لها، طالما أن قلبه منشرح بالإيمان، مطمئن بالإسلام، موصول بنور الله..

قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاقِقُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

(النحل: ١٠٦-١٠٩)

إن أوصاف هؤلاء الذين شرحوا بالكفر صدورهم أنهم آثروا الدنيا وملذاتها وتمرغوا في أحوالها وأرجاسها وأهملوا عقولهم فلم يتأملوا آيات الأنفس والآفاق، وصموا آذانهم أمام دعوة الحق، وأطبقوا أجفانهم أمام نور الله عز وجل، وسدوا كل منافذ المعرفة وأغلقوا كل أبواب الخير..



## انشرح صدر الرسول ﷺ بشق الصدر

طلب

موسى عليه السلام من الله تعالى أن يشرح صدره عقب تكليفه بأمانة الرسالة إلى فرعون وقومه.. قال تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿١٥﴾﴾ (طه : ٢٤-٢٥)

وقد استجاب الله دعاء موسى عليه السلام فقال جل شأنه عقب تمام الدعاء: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴿٣٦﴾﴾ (طه : ٣٦)

أما سيدنا محمد ﷺ فقد امتن الله تعالى عليه ابتداءً بنعمة انشرح الصدر، وساق القرآن المجيد تلك النعمة على سبيل التقرير والتأكيد فقال: ﴿الَّذِي نَزَّحَ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ (الشرح : ١)

وشرح الصدر لرسول الله ﷺ له عند المفسرين معنيان:  
الأول: شق الصدر الشريف وقد جاءت روايات متعددة حول هذا المعنى.. ففي صحيح البخارى بسنده عن مالك بن صعصعة رضى الله عنه أن نبى الله ﷺ حدثه عن ليلة أُسرى به قال: (بينما أنا فى الحطيم - وربما قال: فى الحجر - مضطجعا إذ أتانى آت فقد - أو فشق - ما بين هذه إلى هذه، فقلت للجارود وهو إلى جنبى - ما يعنى به؟ قال: من ثغرة نجره إلى شعرتة - أو من قصه إلى شعرتة. فاستخرج قلبى ثم أتيت بطست من ذهب، مملوءة إيماناً، فغسل قلبى، ثم حشى ثم أعيد).

وفى صحيح مسلم بسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فشق عن قلبه واستخرج القلب، فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأه ثم أعاده فى مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعنى - ظنره أى مرضعته - حليلة - فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره). وجاءت روايات عند أبى نعيم فى الدلائل تفيد أن شق الصدر الشريف حدث أيضاً قبيل البعثة..

ويرى العلماء أن لكل حادثة من هذه الحوادث الثلاث حكمة، فما كان فى زمن الطفولة لينشأ على أكمل الأحوال من العصمة. وما كان عند البعثة ليتلقى الوحي بقلب قوى فى أكمل حالات الطهر..

وما كان عند الإسراء والمعراج ليتأهب للعنابة العلوية القدسية..

وقد حاول البعض إنكار هذه الروايات قديماً وحديثاً، فالمعتزلة قديماً قالوا: إن تأثير الغسل فى إزالة الأجسام، والمعاصى ليست بأجسام فلا يكون للغسل أثر فيها، كما أنه لا يصح عندهم أن يملأ القلب علماً بل إن الله تعالى يخلق العلوم فى القلب..

وقد نقل ذلك عنهم الإمام الرازى فى تفسيره لسورة الشرح .  
وطعن المستشرقون حديثاً فى هذه الروايات ورأواها ضعيفة  
الإسناد . ودافع عنهم الدكتور محمد حسين هيكلى فى كتابه  
(حياة محمد) وقال : ( وإنما يدعو المستشرقين ويدعو المفكرين من  
المسلمين إلى هذا الموقف من ذلك الحادث أن حياة محمد كانت  
كلها إنسانية سامية وأنه لم يلجأ فى إثبات رسالته إلى ما لجأ  
إليه من سبقه من أصحاب الخوارق ، وهم فى هذا يجدون من  
المؤرخين العرب والمسلمين سنداً حين ينكرون من حياة النبى  
العربى كل ما لا يدخل فى معروف العقل ، ويرون ما ورد من  
ذلك غير متفق مع ما دعا القرآن إليه من النظر فى خلق الله وأن  
سنة الله لن تجد لها تبديلاً).

وأقول إن الطعن بهذه العموميات لا يفيد شيئاً ، فإن قدرة الله  
صالحة ، وإن خوارق العادات مرتبطة بالأنبياء قبل البعثة وبعدها  
بما يسمى بالإرهاصات والمعجزات والكرامات ..

وإن الاستبعاد ليس دليلاً على عدم الوقوع ، فكم من أشياء  
استبعدناها بالأمس ووقعت اليوم .

فالمدار فى القبول على صحة النقل ، واستقر لدى علماء  
المسلمين أن كل ما صح نقلاً وجاز عقلاً وجب قبوله ..

## انشرح صدر الرسول ﷺ بعلوم القرآن

**المعنى** الثانى لشرح صدر الرسول ﷺ هو ما حباه الله تعالى به من العلم الشريف والتكريم العظيم والعبادة الخالصة المخلصة.

وعلم رسول الله ﷺ يرتكز أساساً على القرآن المجيد، فإن نعمة النعم على سيدنا محمد ﷺ هى نعمة النبوة والاصطفاء بالرسالة والوحى بالقرآن.. قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ١١٣ ﴾ (النساء: ١١٣)

فالرسول ﷺ أوتى القرآن ومثله معه وهو السنة، وتعلم الرسول من لدن العليم الخبير ما لم يعلمه بشر وما لا يصل إليه إنسان.. وتتضاءل كافة النعم المادية أمام هذه النعمة الكبرى، وتتصاغر كل أموال الدنيا وأعراضها أمام هذا الاصطفاء الإلهي... قال تعالى: ﴿ وَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ٨٧ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ٨٨ ﴾ (الحجر: ٨٧-٨٨)

والسبع المثاني هى فاتحة الكتاب لأنها تتلى وتكرر فى كل صلاة، وعظمة القرآن فى إعجازه، واشتماله على علوم الأولين والآخرين، وهدايته للخلائق أجمعين، وبقائه محفوظاً إلى يوم الدين..

ومن حكمة الله تعالى أن نزول القرآن كان منجماً ومفرقاً تبعاً  
 للحوادث والنوازل والمواقف فيتجدد اللقاء بالوحى ويعظم الرجاء فى  
 الله، ويظل القلب موصولاً بالله.. قال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَهُ  
 وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقَدْ أَنَا فَرَقْتَهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُوتٍ وَنَزَّلْنَاهُ  
 نَزِيرًا ﴿١٠٦﴾ (الإسراء: ١٠٥-١٠٦)

لقد وصل القرآن إلى سيدنا محمد ﷺ كما تلقاه جبريل الأمين عن  
 رب العزة مشتملاً على الحق، لا يزيد كلمة ولا ينقص حرفاً، متضمناً  
 كل ألوان الهداية لبني البشر..

ولما كثر لفظ المشركين حول تفريق القرآن وتعدد أوقات نزوله وضح  
 القرآن المزيد من الحكمة فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ  
 جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ  
 بِمَثَلٍ إِلَّا لِيُجَنَّبَكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ (الفرقان: ٣٢-٣٣)

فحكمة تنجيم القرآن وتفريقه فى النزول ذات مقاصد ثلاثة:

- ١ - تثبيت قلب النبي ﷺ.
- ٢ - قراءته على الناس فى تعهل وتؤده.
- ٣ - مواجهة شبه المنكرين.

وفى إطار انشراح صدر الرسول ﷺ بالقرآن وعلومه جاء القصص  
 القرآنى الحق يشرح تاريخ الأنبياء وعلاقتهم بأقوامهم، وسنة الله فى  
 الأولين..

قال جل شأنه: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُمْ بِهِمْ فُؤَادَكَ  
 وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ (هود: ١٢٠)  
 وقال سبحانه: ﴿نَحْنُ نَقْصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا  
 الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (يوسف: ٣) وقال عز  
 من قائل: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَلَبَّ اللَّهُ لَهُمُ الْعَزِيزُ  
 الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ٦٢)

فالقصة القرآنية هو القصة الحق وهو أحسن القصص..

ولقد انشرح صدر رسول الله ﷺ بنعمة القرآن انشراحاً لا مثيل  
 له، وسعد به سعادة لا يحيط بها الوصف، وظل قلبه ولسانه يضرع  
 إلى الله بالثبات عليه والمزيد منه.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ  
 يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١٣١﴾﴾ فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ  
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٣-١١٤)



## انشرح صدر الرسول ﷺ بروية الآيات

**المعنى** الثالث من معاني شرح الله صدر رسوله ﷺ: رؤية الآيات التي أظهرها الله تعالى على يدى حبيبه ومصطفاه، وهى آيات تؤكد الحفظ والتأييد والنصرة والتمكين، وتجعل العقل والقلب والنفس والروح فى أنوار الملأ الأعلى.. وهذه الآيات من الكثرة بحيث يصعب إحصاؤها، ويكفى أن نشير إلى أهمها:

فانشقاق القمر آية من آيات الله تربط النفس بالملكوت الأعلى وتدفع العقل إلى تأملات عميقة فى الطبيعة وما وراءها، وتؤكد هيمنة الله وسلطانه المطلق على الكون والكائنات..

وقد أخرج البخارى فى صحيحه روايات عن ابن مسعود وابن عباس وأنس رضى الله عنه، منها أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر فرقتين أو فلقتين حتى رأوا حراء بينهما.

ونبع الماء من بين أصابع الرسول ﷺ تكرر أكثر من مرة، وفى صحيح البخارى بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ فجهش الناس نحوه فقال ما لكم؟ قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده فى الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه

كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، قيل: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة.

وحنين الجذع من الأمور المشهورة فقد أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنه قال: كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه، فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه. وفي رواية فصاحت النخلة صياح الصبي، وفي رواية فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار..

وكان الحسن بن علي رضى الله عنه إذا حدث بهذا الحديث يقول: (يا معشر المسلمين، الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إلى لقائه فأنتم أحق أن تشاققوا إليه).

ولعل من أبرز الآيات وأوسعها معجزة الإسراء والمعراج فإن لها أثراً كبيراً في انشراح صدر الرسول ﷺ فقد وقعت في العام العاشر من البعثة وهو العام المسمى بعام الحزن نظراً لوفاة أبى طالب والسيدة خديجة فيه وهما من هما دفاعاً عن رسول الله ﷺ..

فكانت معجزة الإسراء والمعراج بشرى إلهية لرسولنا ﷺ تؤكد عناية الله به ورعايته له، ونصرته لدينه ورسالته وأن هذا الإسلام الحنيف سينتشر في الآفاق وسيطلع على ما يطلع عليه الفجر..

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَّا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

(الإسراء: ١)

وجاءت سورة النجم لتتحدث عن المعراج وتضع الرسول ﷺ في المقام السامى طهراً ونقاءً واصطفاءً.. فهو ﷺ مزكى في ذاته كلها وفي منطقته وفؤاده وبصره وفي كافة ما يحيط به ويقع عليه.. قال تعالى:

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتَمْنُونَهُ عَلَيَّ مَا بَرَأَيْتُ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِنْدَ صِدْرِهِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٤ عِنْدَ هَاجِنَةِ الْمَأْوَىٰ ۝١٥ إِذِغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝١٨﴾

وهكذا فإن رؤية الآيات كانت أحد أسباب انشراح صدر الرسول الكريم.



## إشراح صدر الرسول ﷺ بثناء الله عليه

**المعنى** الرابع من شرح الله تعالى لصدر رسوله ﷺ: بما منحه من فضل، وما حباه به من تكريم وما خصه به من منزلة..

ويتمثل ذلك في وجوه منها:

- ١ - ثناء الله تعالى على رسوله الكريم ﷺ.
- ٢ - قسم الله تعالى بعظم قدر رسول الله ﷺ.
- ٣ - قسم الله تعالى على عظم قدر رسول الله ﷺ.
- ٤ - إخبار الله تعالى بعظم قدر رسول الله ﷺ.

ولتفصيل ذلك نقول:

أثنى الله على سيدنا محمد ثناء عظيمًا في القرآن المجيد فهو ﷺ  
 أنفس الناس وأعلام قدرًا، وهو واحد من البشر ولكن الله اصطفا  
 واجتباؤه وجعله خير خلق الله. قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ  
 مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ  
 رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)

فقد قرأ الجمهور بضم الفاء ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ وقرأ البعض بفتح  
 الفاء ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾

وكلتا القراءتين لها دلالة على عظم قدر رسول الله ﷺ،  
 فالرسول ﷺ على قراءة ضم الفاء واحد من الناس يعرفون نسبه

وصدقه وأمانته وعفافه ، وقد حملة الله رسالة إلى العالمين فهو ﷺ  
يؤديها بالصدق والأمانة المشهودة.. على حد قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ  
عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ بَشِيرَةٌ أَنِ  
غَيْرِ هَذَا أَوْ يَدَّبَّدُوا قُلُوبَهُمْ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكُمْ  
إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُمْ رَأْيِي عَذَابٌ يُومِرُكُمْ بِهٖ فَكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ  
وَابْتَغُوا الْوَسِيلَةَ إِلَىٰ دَارِ أُولَئِكَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ  
عَلَيْكُمْ وَلَا آذَنْتُمْ بِهِ ۗ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ ۗ أَفَلَا  
تَعْقِلُونَ﴾ (يونس : ١٥ : ١٦)

ولتأكيد هذا المعنى ووضوحه وقف الرسول ﷺ على الصفا في أول  
لقاء للدعوة على الملأ من قريش وهتف قائلاً: (يا صباحاه) فاجتمعوا  
إليه فقال: (يا بنى فلان، يا بنى فلان، يا بنى عبد المطلب) فلما  
اجتمعوا إليه قال: (أرأيتم لو أخبرتم أن خيلاً تخرج بسفح هذا  
الجبيل أكنتم مصدقي؟) قالوا ما جربنا عليك كذباً قط، قال: (فإني  
نذير لكم بين يدي عذاب شديد)، فقال أبو لهب: تباً لك أما جمعنا  
إلا لهذا. ثم قام فنزلت هذه السورة: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾

(المسد : ١) ..

فانظر معي إلى براعة الاستهلال ولباقة العرض وبلاغة الحوار،  
وتأمل معي كيف استنطقهم بصدقه وألزمهم بتصديقه..

أما قراءة فتح الفاء (من أنفسكم) فلا شك أن سيدنا محمد ﷺ  
سالة الأطهار وسليل الكرام والجامع لصفات الكمال البشري كله..

ويكفي أن نسوق هذين الحديثين، ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من بنى إسماعيل بنى كنانة، واصطفى من بنى كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفاني من بنى هاشم) وفي مسند الإمام أحمد قال العباس: بلغه ﷺ بعض ما يقول الناس، فصعد المنبر فقال: (من أنا؟) قالوا: أنت رسول الله. قال: (أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه، وجعلهم فريقين فجعلني في خير فرقة، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً).

هذا ولقد أثنى الله على رسوله ومصطفاه ثناء عظيمًا فقرن طاعته بطاعة رسوله ﷺ فقال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠)، وجعله رحمة للعالمين فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧) (الأنبياء: ١٠٧) وسماه نورًا فقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ (المائدة: ١٥) ورفع ذكره في الأولين والآخزين فقال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ٤)



## انشرح صدر الرسول ﷺ بعظم قدره

**انشرح** صدر رسول الله ﷺ بمخاطبة مولاه له مخاطبة الود والخب والصفاء..

١ - فقد أقسم الله تعالى بعظم قدره ﷺ فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر: ٧٢) فهذا قسم بحياة رسول الله وعمره، والله تعالى يقسم بما شاء على ما شاء إظهاراً لدلائل قدرته وبدائع صنعه وعظيم مخلوقاته.

وفى هذا الإطار أقسم الله تعالى بمعجزة الرسول الكبرى وهي القرآن العظيم فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وقال: ﴿قَبَّ وَأَقْرَبَ إِنَّ الْمَجِيدَ﴾ وقال: ﴿صَّ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾، وأقسم الله تعالى ببلد رسول الله ﷺ وموطنه فقال: ﴿وَعَدَّ الْبَلَدَ الْأَمِينَ﴾ وقال: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ؛ والمراد بالبلد هنا مكة المكرمة. فقد كرمها الله تعالى بالبيت العتيق وبالنبي الصادق الأمين..

٢ - إذا كان الله تعالى قد أقسم بعظم قدر رسوله الكريم فإنه سبحانه قد أقسم أيضاً على عظم قدر هذا النبي الكريم.. ونقرأ على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾

وَمَا قَلَىٰ ﴿٢﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿١﴾ وَكَسُوفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾  
 فإله يقسم بالضحى والليل أى بالنور والظلمة وبالزمان بأجمعه أن  
 محمداً ﷺ فى محل التكريم الأرفع من الله عز وجل، فستقبله  
 ﷺ فى الحياة الدنيا خير من حاضره فى بدء العهد المكى، وهذا  
 وعد إلهى بالنصر والظفر والتمكين للدعوة المحمدية حتى تطلع على  
 ما يطلع عليه الفجر. ثم إن آخرة محمد ﷺ يوم القيامة خير من دنياه  
 فهو صاحب الشفاعة العظمى والمقام المحمود والحوص المورود..

٣ - وإذا كان الله تعالى قد أقسم بعظم قدر رسول الله ﷺ،  
 وأقسم على عظم قدر رسول الله ﷺ فإنه سبحانه قد أخبر بعظم قدر  
 رسول الله ﷺ. وذلك فى ميثاق النبیین وبشرى الأنبياء، قال الله تعالى:  
 ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ تُعْجَبُكُمْ  
 رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ. قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ  
 ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ  
 تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (آل عمران: ٨١-٨٢)  
 أليس هذا قدراً عظيماً لسيدنا رسول الله ﷺ ينشرح به صدره

وتسمو به نفسه ويمتلئ قلبه نوراً وهدى..!!

ﷺ

## الرسول الشاهد والأمة الشاهدة

- أول المسلمين
- ميثاق النبيين
- الشافع المشفع
- خير الشهداء
- أمة البلاغ
- السنة الحق
- تصديق الأنبياء

obeikandi.com

## أول المسلمين

وصف

الله تعالى سيدنا محمد ﷺ بأنه شاذ في قوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (١٥)

(الأحزاب: ٤٥). ووصفه بأنه ﷺ شهيد في قوله جل شأنه: ﴿وَكَذَلِكَ

جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣) فالرسول ﷺ شاذ بالوحدانية انطلاقاً من

قوله سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا

بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ١٨). وخير العلماء

وسيد الأنبياء هو محمد بن عبد الله ﷺ. فقد أقام جانب التوحيد الخالص

لله، وأعلى شأنه، وجاهد في سبيله. وهو ﷺ أعزف الناس بجلال الله

وكماله، فهو أول العابدين وأكملهم، وأول المسلمين وأعظمهم، قال جل

شأنه: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ (الزخرف: ٨١).

ولم يتحمل أحد ما تحمله رسول الله ﷺ في أدائه لأمانة الدعوة

وواجب البلاغ؛ فأوذى في نفسه وأهله وصحبه، وماجر المسلمون هجرتين

إلى الحبشة، وحوصر المسلمون في شعب بالجبل مدة ثلاث سنين أكلوا

خلالها أوراق الأشجار، ثم ترك المسلمون جميعاً مكة بما فيها من ديار

وأموال بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، واستقر بهم المقام في المدينة

المنورة، وحملوا السلاح صباح مساء دفاعاً عن عقيدتهم وحماية لأعراضهم  
ودمايهم حتى جاء نصر الله والفتح.

وخلال ثلاث وعشرين سنة بلغ الرسول ﷺ الإسلام قولاً وعملاً. وحكم  
فعدل، وحقق المجتمع المثالي...

وكان رسول الله ﷺ يستشعر عظم هذه المسؤولية، ففي الحديث المتفق  
عليه عن عبد الله بن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: (اقرأ علي)  
فقلت: يا رسول اقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال ﷺ: (نعم، إني أحب  
أن أسمع من غيري)، فقرأت سورة النساء حتى أتيت هذه الآية (٤١):  
**﴿كَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾** (٤١)  
فقال ﷺ: (حسبك الآن) فإذا عيناه تذرقان..

### ميثاق النبيين

والرسول ﷺ شهيد بمعنى مشهود له بالرسالة والنبوة في رحمة الزمان  
وعق التاريخ.. قال تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءَ آتَيْتُكُمْ مِنْ  
كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ تُحَرِّجُكُمْ رُسُولُ رَسُولٍ مُصَدِّقٍ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ  
وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَأَقْرَرْنَا قَالَ  
فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾** (٨١) **﴿فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ  
هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾** (٨٢) (آل عمران: ٨١-٨٢).

وهذا الميثاق له معنيان: ميثاق أخذه الله من النبيين أو ميثاق أخذه  
الله للنبيين.

وعلى الاتجاه الأول يكون المعنى أن الله تعالى أخذ الميثاق من النبيين، كى يصدق بعضهم بعضاً، حتى تصل الرسالة إلى ختامها ببعثة محمد ﷺ، فكل نبي لا يناقض أخاه ولا ينازعه، وإنما هم يكملون الرسالة الإلهية للبشر كل فى زمانه ومكانه، وهم لبنات بناء عال، وصرح مشيد يشد بعضه بعضاً.

قال ﷺ - فى الصحيح - : (مثللى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه إلا موضع لبنة فيه، فجعل الناس يطوفون به ويتمجبون ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)..

وعلى الاتجاه الثانى يكون المعنى أن الله تعالى أخذ الميثاق من الأمم بتصديق كل نبي مؤيد بالمعجزة يواصل المسيرة المؤمنة فى الهدى والرشاد.. ولقد دعا الأنبياء أقوامهم إلى الإيمان بمن يليهم، وضمنوا الميثاق كتبهم ووصاياهم لأممهم، حتى تظل العالم واضحة يتوارثها الأجيال سائرين فى ركب الإيمان المتجدد..

وعلى كلا الاتجاهين يتحتم على أهل الكتاب الإيمان بالرسالة لمحمد ﷺ وفاء للعهد، والتزاماً بالميثاق، فهو مصدق لما معهم؛ ومؤيد بالمعجزة، وداع إلى الحق وصراف مستقيم..

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم

مَنْ الظَّالِمَاتِ إِلَى الثَّوْرِ بِأَذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ (المائدة: ١٥-١٦) وفي صحيح مسلم قال ﷺ (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولا يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أهل النار) وفي حديث آخر: (لقد جنتكم بها بيضاء نقية، والله لو كان موسى بن عمران حياً لما وسعه إلا اتباعى).

### الشافع والمشفع

والرسول ﷺ شهيد يوم القيامة بمعنى أنه حاضر لمواقفها، ساع لإزالة الشدة، شفيع لفصل الخطاب، وذلك حين يخرج الناس من قبورهم ويساقون للحشر وتعذيبهم أهوال تجعل الولدان شيباً، فيسمى الناس إلى الأنبياء يطلبون شفاعتهم إلى الله عز وجل كي يبدأ الحساب، فيعتذر كل نبي بدءاً بآدم عليه السلام ومروراً بنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، كل واحد يقول: نفسى نفسى، إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله..

وأخيراً يصل الناس إلى محمد ﷺ ويقولون- كما جاء فى الصحيح-: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما قد بلغنا؟! يقول ﷺ: (فأتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى، ثم يفتح الله على ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلى، ثم قال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع).

والشفاعة تكريم للشفعاء وبيان لمنزلتهم عند الله وليس للشفعاء من الأمر شيء ولذا فإن سيد الشفعاء هو سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد ﷺ، فهو صاحب الشفاعة العظمى، وهو صلى الله عليه وسلم أول شافع أى طالب للشفاعة، وأول مشفع أى مقبول الشفاعة وهذا هو المقام المحمود الذى تحمد الخلائق فيه سيدنا محمداً ﷺ .

### خير الشهداء

ثم إن هناك معنى آخر لفهوم وصف الرسول ﷺ بأنه شهيد، فقد جاهد الرسول ﷺ فى الله حق جهاده، وحرص على الشهادة فى سبيل الله وحث أمته عليها نصرة للحق ودفاعاً عن المقدسات وحماية للأعراض وصيانة للدماء، وفى صحيح الحديث قال ﷺ (تضمن الله لمن خرج فى سبيله، لا يُخرجه إلا جهاداً فى سبيلى، وإيمان بى، وتصديق برسلى، فهو ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى منزله الذى خرج منه نائلاً مانال من أجر أو غنيمة.. والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم، لونه لون دم، وريحه ريح مسك. والذى نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عنى. والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل).

و شاء الله أن يكون لرسوله نصيب في الشهادة، ففي غزوة خيبر قدمت له ﷺ زينب بنت الحارث اليهودية شاة مسمومة انتقاماً لأهلها الذين قتلوا في فتح خيبر، ودست سما كثيراً في ذراع الشاة لأنه أحب الأعضاء إلى رسول الله ﷺ.

ولما أخذ الرسول مضغة من الذراع أظلمه الله على ما فعلته المرأة فلم يسغ المضغة، وكان معه بشر بن البراء فأسأغ لقمته فمات.

وجمع الرسول ﷺ اليهود وقال لهم: (ما حملكم على ذلك؟) قالوا: أردنا إن كنت كاذباً نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك. ويقال إن الرسول ﷺ عفا عن المرأة أولاً مقدراً حالتها النفسية فلما مات بشر اقتص منها..

وظل أثر هذه الأكلة يعاود رسول الله ﷺ حتى إن أنس بن مالك كان يقول: ما زلت أعرفها في لهوات<sup>(١)</sup> رسول الله أي في تغير لونها أو نتوء فيها.. وعاش الرسول ﷺ بعدها ثلاث سنوات، فلما حضرته الوفاة قال للسيدة عائشة - كما في صحيح البخاري: (يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم)<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا رأى الصحابة أن الرسول ﷺ مضى شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة.. وهكذا كان رسول الله ﷺ شاهداً وشهيداً، شاهداً لله

(١) لهوات: جمع لهاة موضع في أقصى سقف الفم.

(٢) أوان بالفتح على الظرفية، والأبهر عروق مستبطن بالظنير متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه.

تعالى بالوحدانية والجلال المطلق، ومشهوداً له بالرسالة والنبوة على مدار الأجيال المتلاحقة من بنى البشر، وشاهداً لأهوال القيامة حاضراً لها شفيعاً لأهل الموقف من الأولين والآخرين، وشهيداً مضى إلى الرفيق الأعلى من أثر سم وضعته امرأة يهودية.

فحظى بما لم يحظ به بشر، وصدق الله حيث يقول: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ (النساء: ١١٣).

### أمة البلاغ

وانطلاقاً من وصف الرسول الكريم بأنه شاهد وشهيد فإن أمة الإسلام لها من الفضل والكرامة بقدر ولائها لهذا النبي العظيم، فإن الله تعالى يخصصها بما خص به نبيه ﷺ ..

فأمة الإسلام شاهدة لله بالوحدانية، ترفع لواء التوحيد الخالص وسط عالم لا يعرف الحق في العقيدة ولا الخير في السلوك، فالناس حولنا عبدوا غير الله، وحرفوا ما أنزل الله، وطمسوا معالم الوحي الصحيح وعاثوا في الأرض فساداً.

وواجب هذه الشهادة أن نبليج رسالة الإسلام إلى العالمين، لنوجه العقول التائهة ونوقظ القلوب الغافلة؛ ونفتح الأعين العمى ونشفي النفوس المريضة. قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣).

والوسط ليس أمراً حسابياً، وإنما هو الأفضل والأكمل والأشرف، كما يقال: فلان أوسط الناس نسباً وداراً، أى أفضلهم، ومنه الصلاة الوسطى أى ذات الفضل والثواب العظيم.

وقد خص الله تعالى الأمة الإسلامية بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب، فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

وحدثت الروايات أن يهودياً قال لعمر بن الخطاب: إنكم تقرءون آية فى كتابكم، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال عمر: وأى آية؟ قال.. اليوم أكملت لكم دينكم.. فقال عمر: والله إنى لأعلم اليوم الذى نزلت على رسول الله ﷺ، والساعة التى نزلت فيها، عشية عرفة فى يوم جمعة، وكلاهما - بحمد الله - لنا عيد.

والأمة الإسلامية مشهود لها بأنها وريثة المجد، ومؤسسة الحضارة، وحافظة قرائح البشر، وهى التى أيقظت أوروبا من سباتها وانتشلتها من العصور المظلمة، وكانت مراكز الحضارة الإسلامية فى بغداد ودمشق والقاهرة وغرناطة وصقلية، النبع الصافى الذى ارتوت منه البشرية.

### أمة الجهاد

والأمة الإسلامية شهيدة تتحمل أمانة قيادة الحياة بمنهج الله وتقديم هذا الدين الحنيف عقيدة وسلوكاً، علماً وعملاً، منهجاً وتطبيقاً، وفى سبيل ذلك تتحمل قذائف الباطل وتتخطى عقبات المبطلين والمفسدين فى الأرض، فسنة المدافعة بين الحق والباطل قائمة إلى يوم القيامة، وليس هناك معركة بغير

شهداء، وليس هناك جهاد بغير تضحيات.. وعندما يقبل المسلمون التحدى فيقنعهم أن العاقبة للمتقين وأنها إحدى الحسينين: النصر أو الشهادة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِقَدْلُونِ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّذِي بَاعَ بِكُمْ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

(التوبة: ١١١)

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيَيْدِنَا فَرَبِّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ (التوبة: ٥٢)

### السنة الحق

والأمة الإسلامية شهيدة على أهلها بالحق، أحياء وأمواتاً، فالشهادة شرطها العدالة، وأول شرائط العدالة الإسلام، والمسلم يلتزم التزاماً أميناً بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ عَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ (النساء: ١٣٥)

وتفهم شهادة الأمة على أهلها في حال الموت بالصلاة عليهم وتناقل أعمالهم من خير أو شر فإن ذلك يوجب الجزاء المناسب للعمل..

فمن صلى عليه مائة من المسلمين أو أربعون أو ثلاثة صفوف تقبل  
الله شفاعتهم فيه، ففي صحيح مسلم.. (ما من بيت يصلى عليه أمة من  
المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعا فيه).

وفي رواية.. (ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً  
لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعم الله فيه).

وفي حديث رواه الترمذى وأبو داود عن مالك بن حبييرة قال: سمعت  
رسول الله ﷺ يقول: (ما من مسلم يموت فيصلى عليه ثلاثة صفوف من  
المسلمين إلا أوجب) أى: وجبت له الجنة، وكان مالك إذا استقل أهل  
الجنازة جزأهم ثلاثة صفوف.

وتتواصل الشهادة في الذكرى الباقية للإنسان بعد وفاته، فالسنة السنّة  
الحق، وهم شهداء على موتاهم؛ وفي صحيح الحديث أن أنس بن مالك قال:  
مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً فقال النبي ﷺ: (وجبت)، ثم مروا بأخرى  
فأثنوا عليها شراً، فقال النبي ﷺ: (وجبت). فقال عمر بن الخطاب رضى  
الله عنه: ما وجبت؟ قال ﷺ: (هذا أثنتم عليه خيراً فوجب له الجنة،  
وهذا أثنتم عليه شراً فوجب له النار، أنتم شهداء الله في الأرض).

### تصديق الأنبياء

ويأتى معنى أخير للأمة الشهيدة، وهو أن المسلمين شهداء على الأمم  
يوم القيامة، يشهدون لكل نبي أنه بلغ قومه ونصح أمته وأدى رسالة ربه  
على الوجه الأكمل..

وذلك حين يقف المشركون والكافرون يوم الحشر الأكبر، ويكذبون على  
أنفسهم أمام الله عز وجل قائلين ما جاءنا من بشير ولا نذير.. فتكون

أمة محمد ﷺ شاهدة بالحق معلنة أمام الجميع أن نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى وكل المرسلين قد قاموا برسالة التوحيد وألزموا أقوامهم الحجّة، ولم يدخروا وسعاً في إقناع أقوامهم ودعوتهم إلى الحق وطريق مستقيم. وشهادة المسلمين هذه على الأمم مستفادة من القرآن المجيد الذي جاء بالحق وصدق المرسلين وصحح أوهام البشر في قضايا الدين والحياة، وساق مسيرة الأنبياء منذ آدم عليه السلام وإلى ختام الوحي برسالة سيدنا محمد ﷺ. وقد جاءت أحاديث كثيرة بهذا المعنى، منها ما رواه البخارى: (يدعى نوح يوم القيامة فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم فيدعى قومه، فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد، فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، قال: فذلك قوله ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال: والوسط العدل، فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم).

وهذا يؤكد حقيقة مهمة وهى: لولا محمد ﷺ ما عرف الناس الأنبياء...!! فإن الأنبياء فى العهد القديم لدى اليهود والنصارى لا خلاق لهم، ويمثلون مرتبة دنيا من البشر؛ ويرتكبون فواحش ومنكرات، ويقع المسيح عيسى ابن مريم على وجه الخصوص بين عقيدتين متناقضتين فاليهود يعدونه كذاباً مفسداً، والنصارى يعبدونه إلهاً أو ابن إله.. وجاء الإسلام فأوجب الإيمان بالرسول جميعاً لا تفرق بين أحد منهم، وجعلهم أسوة حسنة. وحدد شخصيتهم البشرية المصطفاة الخاضعة لله رب العالمين..

وقال جل شأنه فى تحديد واضح جلى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا

دَاوُدَ زُبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ  
عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا  
يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾

(النساء: ١٦٣ : ١٦٥)

إن وصف أمة الإسلام بأنها شاهدة وشهيدة على الأمم وصف له تبعات  
وتكاليفه، وهو يوجب علينا اليوم- كما أوجب بالأمس، وكما يوجب غدا- أن  
نكون أهلا لهذا الدين الحنيف وأن نقدم نماذج الهداية الإسلامية في حركة  
الحياة المثلى وبناء الحضارة الرشيدة.

وإن عالم اليوم الذي تصارعت فيه القوى والمذاهب، ووصل إلى درجة التشعب  
المادي الرخيص أصبح يتلهف على عقيدة توازر العقل الراشد وتهب السعادة  
للنفس الإنسانية، وتتسامى بعواطف الإنسان وغرائزه إلى آفاق الملاء الأعلى..  
ولن تكون تلك العقيدة إلا عقيدة الإسلام الذي ختم الله به الرسالات وأتم  
به الدين..

وعلى رغم العداء المعلن في المؤسسات والحكومات الصليبية فإن قادة الفكر  
وعامة المواطنين يواصلون مسيرة الزحف نحو الإسلام.

فهناك فلاسفة وسياسيون وعلماء يدخلون الإسلام كل يوم في مشارق  
الأرض ومغاربها وتنطق قلوبهم وألسنتهم بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً  
رسول الله، وصدق الله حيث يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى  
وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (الفتح: ٢٨)

## ذكري ميلاد رسول الله ﷺ

- احتفال الله تعالى بنبيه محمد ﷺ
- احتفالات المسلمين
- الاحتفال شرف
- الاحتفال حسب
- الاحتفال سعادة
- الاحتفال اقتداء
- الاحتفال عهد وميثاق
- الصلاة على رسول الله ﷺ

obeikandi.com

## احتفال الله تعالى

### بنبيه محمد ﷺ

لقد

احتفى المولى سبحانه بنبيه محمد ﷺ، وكرمه أعظم تكريم  
وفضله تفضيلاً، ومنحه ما لم يمنح أحداً من العالمين.

لقد منحه الجائزة الكبرى، وجعل معجزته كتاباً خالدًا، لا يأتيه  
الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتحدى به الثقلين، فقال: ﴿وَأَن  
كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ  
مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (البقرة: ٢٣)

ولأول مرة في تاريخ الأنبياء، تلتقى الرسالة والمعجزة على شيء  
واحد، فإن رسالة محمد ﷺ هي القرآن المجيد، وإن معجزته هي  
القرآن المجيد.. قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ  
وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾

(النساء: ١١٣)

وقال جل شأنه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ

عَلَيْهِمْ آيَاتٍ فِي ذَٰلِكَ لِرَحْمَةٍ وَذِكْرٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾

(العنكبوت: ٥١)

ولقد فتح الله على رسوله خزائن فضله بلا حدود، وحقق آماله كلها، فجاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا، وظهر الإسلام على الدين كله.. ونزل قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ (الضحى: ٥).

واستقبل المولى سبحانه نبيه محمداً ﷺ في الملأ الأعلى، وحشد له الأولين والآخريين وطاق به في أرجاء الملك والملكوت، وجمع له الماضي والحاضر والمستقبل في لحظات روحية تخطت حجب الزمان والمكان، فكان الإسراء من مكة إلى بيت المقدس وكان المعراج من بيت المقدس إلى السموات العلاء، إلى سدرة المنتهى، إلى حيث شاء العلى الأعلى.. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۖ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ ۝١٤ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۖ ۝١٥ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۖ ۝١٦ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۖ﴾ (النجم: ١٣-١٨)

وعندما يبعث الناس من قبورهم ويساقون إلى المحشر، وتتوالى الأحوال والشدائد، ويتمنى الناس الانصراف ولو إلى النار، يتلفتون بحثاً عن من يشفع لهم عند الواحد القهار، فيذهبون إلى آدم وإلى نوح وإلى إبراهيم وإلى موسى وإلى عيسى، وكلهم يقولون نفسى، نفسى، فيذهب الناس إلى سيد الأولين والآخريين وخاتم الأنبياء والمرسلين فيأتى تحت العرش ويخر ساجداً، ويفتح الله عليه من محامده وحسن الثناء عليه ثم يقال له: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع.

## احتفالات المسلمين

يتخذ

المسلمون اليوم للاحتفال بالمولد النبوي الشريف ألواناً واتجاهات شتى.. فالبعض يجعل الاحتفال ملهاة بالماكَل والمشارب وحفلات السمر والغناء وسياحة العبيث ونزهة الفجور، مقلدين فى ذلك عادات مرذولة لشعوب. لا تؤمن بالله واليوم الآخر.. ويصدق فى هؤلاء قول الله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ (الأنعام: ٧٠)

وهناك فريق آخر يجعل للاحتفال طقوساً وعبادات وشعائر، ما أنزل الله بها من سلطان، ويحسبون أنهم يحسنون صنفاً.. ويصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ (الشورى: ٢١)

وفريق ثالث يجعل الاحتفال مؤتمرات تقام وتنفض، وقصائد عصماء، وخطباً رنانة، ويقف عند هذا الحد.. ويظل الجميع سادراً فى غيه، غافلاً عن رسالته، بعيداً عن جوهر الدين.. ونحن ندعو أمتنا أن يكون احتفالها بمولد الرسول الهادى البشير مظهراً للحب، واكتساباً لشرف الولاء، وعهداً وديثاقاً على حسن الاقتداء، واستمراراً للدعوة، وشوقاً إلى الجنة والغنيمة يرضا الله سبحانه وتعالى..

ولا يتحقق ذلك إلا بالاستمساك الدائم بمنهاج الدعوة الإسلامية ودستورها الخالد وكتابها المعجز، وإقامة الحياة وبناء الفرد والمجتمع على هدى الوحي المحمدي.. قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: ١٠٨)

إن أمة الإسلام في معترك الحياة المعاصرة في أمس الحاجة إلى تأكيد شخصيتها وتعميق هويتها والتفافها حول ذاتيتها التي لا تعرف إلا الإسلام في صفاء عقيدته وكمال تشريعه..

إن الناس حولنا ينحتون عوامل وهمية تجمعهم، ويتعلقون بأوهى من بيت العنكبوت، وقد حباننا الله بأواصر أرسخ من الجبال، ووشائج أبقى من الزمن، وصلات أعرق من التاريخ، وروابط هي العروة الوثقى.. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَنَقَبَةُ الْأُمُورِ﴾ (لقمان: ٢٢)

﴿﴾

## الاحتفال بالمولد النبوي شرف

جری

عرف الناس أن يجعلوا من احتفالاتهم تكريمًا للمحتفى به وتشريفًا له..

والأمر بالعكس في احتفالات المسلم بالمولد النبوي الشريف، إن المسلم يحظى بالشرف وتغمره السعادة ويناله الرضا عندما يحتفل برسول الله ﷺ.

فالحديث عن رسول الله ﷺ وأخلاقه ورسالته ودعوته - شرف للمتحدث والمستمع، وشرف للكاتب والقارئ، وشرف للعالمين.. فإن رسول الله ﷺ أفضل الرسل وخاتم الأنبياء وسيد البشر، فمحمد ﷺ هو الإنسان الكامل، رفع الله ذكره في العالمين، فلا يذكر الله تعالى إلا ويذكر معه محمد رسول الله، ولا يقبل الله إيمان أحد إلا إذا قرن الشهادة بالرسالة لسيدنا محمد ﷺ بالشهادة بالوحدانية لله رب العالمين..

ومن عجب أن في مشروعية الأذان للصلاة تأكيداً لهذا المعنى وتوضيحاً له، وإعجازاً له حكمته البالغة..

فإن الأذان لا ينقطع في أرض الله على مدى اليوم واللييلة، فما من لحظة إلا وفيها أذان يرفع في مكان ما بالتكبير لله سبحانه والشهادة له بالوحدانية ولسيدنا محمد بالرسالة..

ولا تمر صلاة إلا وفيها الدعاء للنبي ﷺ والتسليم عليه، وفي ذلك شرف للمصلى وفضل إلهي عليه..

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)، وقال ﷺ: (من صلى على صلي الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفعه له عشر درجات) (رواه أحمد والنسائي والحاكم بإسناد صحيح)

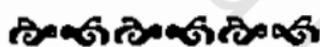
وجاء رجل فقال: يا رسول الله إنني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال ﷺ: (ما شئت) قال الرجل: الربع، قال ﷺ: (ما شئت وإن زدت فهو خير)، قال الرجل: الثلث، قال ﷺ: (ما شئت وإن زدت فهو خير)، قال الرجل: النصف، قال ﷺ: (ما شئت وإن زدت فهو خير) قال الرجل: الثلثين، قال ﷺ: (ما شئت وإن زدت فهو خير) قال الرجل: يا رسول الله أجعل صلاتي كلها لك - أي دعائي -، فقال ﷺ: (إذا تكفى همك ويغفر ذنبك) (رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح).



أنزل عليك الكتاب لأنك أحب إلى من نفسي التي بين جنبي.. فقال له النبي ﷺ : (الآن يا عمر). (رواه البخاري). أى: الآن ثبت له الإيمان.. فعندما يدرك المرء أن رسول الله أحب إليه من كل شيء، حتى نفسه، حينئذ يذوق حلاوة الإيمان وينشرح صدره بالإسلام ويطمئن قلبه بالإيمان..

وقد قال رسول الله ﷺ : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) (متفق عليه).

إن حبنا لرسول الله هو أعظم الحب وأقدسها، وأكرم الحب وأبقاها، لأنه من الله وفي الله والله.. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥).



## الاحتفال بالمولد النبوى سعادة

عرف الناس أن الحب تضحية، وأن المحب يضحى فى سبيل محبوبه.. مضى

لكن حب المسلم لرسول الله ﷺ فوز وغنيمة، وتجارة لن تبور، إننا لا نضحى بشيء عندما نحب رسول الله ﷺ، وإنما نتخلى عن الأهواء الفانية وندع الأمراض النفسية والقلبية، ونترك الفواحش باظهر منها وما بطن، ونكتسب سمو الأخلاق وطهارة السلوك، وأمن الحياة وسعادة الدنيا والآخرة.. قال تعالى: ﴿رَبِّائِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَعْرَافٍ تُنَجِّيَكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ١٠ تَوَمَّنْ يَا أُنثَىٰ لِرَسُولِهِ وَرُجُوبُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ لِقَائِهِمْ ١١ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ١٣﴾ (الصف: ١٠-١٣)

فانظر إلى آثار حبه لله ورسوله وإيمانك بالإسلام. إنها مغفرة للذنوب، وجنات فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. إنها نصر فى الدنيا وفتح قريب وتمكين فى الأرض وإقامة للعدل ونشر للسلام وإعلاء للحق.

إن المسلم حين يحتفل بالمولد النبوي الشريف يظهر حبه للرسول  
الهادي البشير ﷺ ، ويقيم علاقاته ويبني مجتمعه على منهاج الله  
الذي بلغه رسوله الأمين، ويقدم العهد والميثاق ويجدد الولاء..

وهذا كله ليس تضحية من أجل رسول الله ﷺ لكنها الحياة الكاملة  
لنا.. قال تعالى: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِيثَاقًا حِينَهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ  
فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ  
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ (الأنعام: ١٢٢)

إن حبنا لرسول الله ﷺ ليس منة عليه ولكنه فضل الله يحبو به  
من يشاء من عباده قال تعالى: (يَعْتُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ  
إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾  
(الحجرات: ١٧)

إن حبنا لرسول الله ﷺ لا يسلبنا أموالنا ولكن يزيكها لنا وينميها  
ويباركها. قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ  
حَبَّةٍ أُنْبِتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ  
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ (البقرة: ٢٦١)



## الاحتفال بالمولد النبوي اقتداء

احتفال المسلم بمولد رسول الله ﷺ لا يكفي فيه مجرد **إن** الحب العاطفي والميل القلبي، بل إن حقيقة الحب اقتداء بصاحب الذكرى العطرة ﷺ..

وهذا الاقتداء هو فيصل التفرقة بين مراتب الحب وطبقات المحبين، فبقدر الحب يكون الاقتداء.. وقد قال الله تعالى: **(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٣١)** (ال عمران: ٣١).

ولله در القائل :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه      هذا لعمري في القياس بديع  
لو كان حبك صادقاً لأطعته      إن المحب لمن يحب مطيع

والاقتداء برسول الله ﷺ ليس اقتداء البدعة ولا اتباع الهوى، فإن رسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة بشهادة الله تعالى: **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ٢١)** (الأحزاب: ٢١)، وقد أمدح الله تعالى خلق رسوله فقال: **(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤)** (القلم: ٤)، وامتدح منهاج دعوته فقال: **(وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٥٢)** (الشورى: ٥٢). وجعله نوراً وسراجاً للعالمين



## الاحتفال بالمولد النبوى عهد وميثاق

**جرى** العرف أن يكون احتفال الناس ذكرى لموقف مضى أو وفاء  
لزعيم مات، أو تكريمًا لعظيم..

وليس ذلك واردًا فى احتفال المسلم بالمولد النبوى الشريف فإن  
الناس يكتسبون الشرف والتكريم من رسول الله ﷺ ، وهو حى بيننا  
بمنهاج دعوته واستمرار رسالته، قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ  
تُنَادُونَ عَلَيْنَا آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدِ هَدَىٰ إِلَىٰ  
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ (آل عمران: ١٠١). وقال جل شأنه: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ  
فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ (الحجرات: ٧)

إن رسالة الإسلام وصلت إلينا عزيزة كريمة بجهد السابقين  
الأخيار وبجهادهم، فيجب أن نتحملها بيقين الصادقين، ونسلم  
الراية لمن بعدنا مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام ببرة..

وإن احتفال المسلم بالمولد النبوى الشريف ليس بكاء على أطلال،  
ولا تذكارا للديار، ولا تفسحًا بالأحجار، وإنما هو تجديد للعهد  
والميثاق.. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُونَّ  
إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (آل عمران: ١٠٢)

وقال جل شأنه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ



## الصلاة على رسول الله ﷺ

(أ) الصلاة على النبي ﷺ ومدخلها في الدعاء المستجاب:

**الدعاء** مخ العبادة أو هو العبادة كما ورد في بعض الآثار، وذلك لأنه موقف ضراعة وخشوع وحاجة أمام صاحب الملك والملكوت، الملك الوهاب، غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب ذي الطول، لا إله إلا هو إليه المصير.

وللدعاء آداب عامة كثيرة: منها ما يتعلق بمضمون الدعاء نقتسه كالأدعية بائس ولا قطيعة رحم. ومنها ما يتعلق بالداعي نفسه كأن يكون مطمئناً حلالاً، ومنها ما يتعلق بوقت الدعاء كما في ساعة الجمعة. ومنها ما يتعلق بكيفية الدعاء.

وهنا يهمنا أن ننبه إلى فضيلة الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وأهميتها في الدعاء ومدخلها في قبوله واستجابته.

فقد أخرج أبو داود والترمذي وصححه أن النبي ﷺ قال: (إذا صلى أحدكم (أى دعاء) فليبدأ بحمد الله والثناء عليه، وليصل على النبي ﷺ، وليدع بعد بما شاء).

وفى حديث آخر عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه - رواه الترمذي وحسنه - قال: كنت أصلى (أى: أدعو) والنبي ﷺ وأبوبكر

وعمر معه ، فلما جلست بدأت بالثناء على الله ثم الصلاة على نبيه  
ثم دعوت لنفسى ، فقال النبي ﷺ : ( سل تعطه).

فالأدب فى الدعاء - كى يكون أرجى للقبول - على هذه الكيفية  
يبدأ بحمد الله والثناء عليه سبحانه بما هو أهله ثم الصلاة والسلام  
على سيد الأولين والآخرين ، ثم يدعو الإنسان بما شاء من خيرى  
الدنيا والآخرة..

بل ورد ما هو أبعد من ذلك. فكثرة الصلاة والسلام على إمام  
الأنبياء وسيد ولد آدم ، وملازمتها قد تغنى عن الدعاء نفسه وتجعل  
المرء فى صفاء روحى وتكفيه ما أهمه من أمر معاشه ومعاده.. والله  
در القائل:

إذا أنت لازمت الصلاة على الذى صلى عليه الله فى الآيات  
وجعلتها وردا عليك مؤكداً لاحت عليك دلائل الخيرات

وحول هذا المعنى ورد حديث شريف رواه الإمام أحمد فى مسنده  
والترمذى وغيره أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : إني أكثر الصلاة  
عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: (ما شئت)، قال: الربع،  
قال: (ما شئت، وإن زدت فهو خير لك) قال: النصف، قال:  
(ما شئت وإن زدت فهو خير لك) قال: الثلثين. قال: (ما شئت وإن  
زدت فهو خير لك) قال: أجعل لك صلاتي كلها (أى: دعائي)؟!  
قال ﷺ : (إذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك)..

وقد ورد هذا الأدب في كيفية الدعاء في مواضع أخرى علمها الرسول ﷺ أصحابه، فهناك دعاء مستحب عند دخول المسجد والخروج منه يبدأ أيضاً بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ..

ففي الحديث الصحيح: (إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل اللهم إنني أسألك من فضلك).

وعند سماع المؤذن ورد مثل هذا المعنى: فقد خرج مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فإنه من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة). اللهم صلى وسلم وبارك على هذا النبي الكريم..

(ب) الحكمة فى اقتران الصلاة على سيدنا محمد ﷺ

بالصلاة على سيدنا إبراهيم عليه السلام:

أفضل الصيغ فى الصلاة والسلام على سيدنا محمد هى الصيغة الإبراهيمية التى تقال فى آخر التشهد: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد).

وقد اهتم القرآن المجيد كثيراً بالربط بين إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، فحكم بأن محمداً ﷺ وأُمَّته أولى الناس بإبراهيم فقال: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ٦٨)

وجعله أباً للمسلمين فقال: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّكُمُ الْمَسْلُومِينَ﴾ (الحج: ٧٨).

وفرض الله على الأمة المحمدية التوجه في صلاتها إلى الكعبة المشرفة بناء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فقال: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (البقرة: ١٤٤) وجعل الله الحج إلى الكعبة تلبية لنداء إبراهيم عليه السلام - فريضة وركناً من أركان الدين فقال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦-٩٧)

وأولاً وأخيراً فإن سيدنا محمداً ﷺ هو دعوة أبيه إبراهيم في قوله: ﴿رَبَّنَا وَأَنْبِئْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَنُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُرْزُقِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩) وإجماع المفسرين على أن هذا الرسول الذي دعا به وله إبراهيم الخليل إنما هو سيدنا محمد ﷺ، فلم يبعث الله نبياً إلى العرب منذ إسماعيل عليه السلام.

### المبحث الثالث

## المحبة لله وفي الله

- علاقة اجتماعية نبيلة
- حلاوة الإيمان
- المرء مع من أحب
- ثواب المحبة لله
- إفشاء السلام يعمق المحبة
- النصيحة حب
- التزاور في الله

obeikandi.com

## ١- علاقة اجتماعية نبيلة

للناس

علاقات اجتماعية تتوزعها أغراض شتى، وتحركها أهداف متعددة، فمن الناس من يقيم علاقته رياءً أو نفاقاً أو خديعة أو تحقيقاً لمآرب.. إلا أن هذه العلاقات المرتبطة بالمادة ومتع الحياة الرخيصة لاتلبث أن تنهار، وتظهر النوايا الخبيثة، ولله در القائل:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم  
وحين تظهر الخفايا تنقلب الصداقة إلى عداوة، وينقطع المعروف ويتربص كل منهما بالآخر.. ولا يبقى إلا ما كان لوجه الله خالصاً، ولا يدوم إلا ما صدر عن قلب طاهر نقي، فإن الصلة الوحيدة التي تبقى مع متقابلات الحياة هي المحبة لله وفي الله، وتعنى أن يجتمع الناس على طاعة الله ليس لهم غرض دنيء، ولا هدف حفي ولا غاية حقيرة، فالطاعة تجمعنا والمعصية تفرقنا..

وتلك العلاقة القائمة على المحبة لله وفي الله تبقى مع الصحة والمرض، وتبقى مع الغنى الفقر، وتبقى مع إقبال الحياة وإدبارها.. ولهذا يقول الله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: ٦٧)

فجميع الصداقات تنقلب إلى عداوة إلا صداقة التقوى وعلاقة المحبة لله وفي الله..

ومن هنا فإن المسلم حريص على انتقاء الصديق فإن المرء على دين خليله، وقد قيل في الحكم: (أخبرني من تصادق أخبرك من أنت).  
 وفي توجيه نبوي كريم يقول ﷺ: (إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة؛ ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة) (متفق عليه).  
 فمجالسة الصالحين لا تنفك عن خير، ومجالسة الأشرار لا تنفك عن معصية فماذا نختار لأنفسنا؟

إن الجليس الصالح يذكرنا بالله ويعيننا على أمر ديننا ودنيانا ويتعاون معنا على البر والتقوى ويصلح ذات بيننا ويخلص في النصيحة ويرشد إلى كل خير.. والجليس السوء يجرنا إلى الفحشاء والمنكر والبغى، ويدفعنا إلى الجريمة والمعصية والخطيئة، وأقل ما يمكن أن يصيبنا من مجالسة الأشرار هو القيل والقال وسوء السمعة.. قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ (الأنعام: ٦٨)

## ٢- حلاوة الإيمان

لقد علمنا رسول الله ﷺ كيف نستشعر حلاوة الإيمان فقال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب

إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار) (متفق عليه).

إن المحبة لله وفي الله تبدأ بحب الله ورسوله حباً يملك على المرء قلبه وقاله، بحيث ينتشر المرء الهوى والمزاج والهناج والسعادة في طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله ﷺ، فإن الحب لله ورسوله ليس موقفاً عاطفياً مجرداً؛ وإنما هو موقف اتباع وتسليم. ولهذا قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١)؛ وقال ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)<sup>(١)</sup>.

وفي موقف مقابلة بين حبين يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: ٢٤)

فلا حب يعلو على حب الله ورسوله ﷺ...

وما عدا الله فهو أثر من آثار، ونعمة من آلائه فكيف نلهم بالنعمة عن المنعم وبالأثر عن المؤثر؟! عن المنعم وبالأثر عن المؤثر!

(١) ذكره الإمام النووي في الأربعين وقال: حديث صحيح رواه في كتاب

الحجة.

وانطلاقاً من الحب لله ورسوله تأتي محبة المؤمنين ، فإن الرابطة المقدسة التي تجمع بين المؤمنين هي رابطة الحب ، فهي أسمى الروابط وأبقاها وأخلدها.. ولهذا قال رسول الله ﷺ : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).. وكانت علاقة الحب لله وفي الله هي التي جمعت الأنصار والمهاجرين، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ (الحشر: ٩)

وإذا تحقق للإنسان حب الله ورسوله ﷺ ، وأحب لله وأبغض لله ، وأعطى لله ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان، وحينئذ يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار. فإن المؤمن يدرك عمق المناسة وخطر الجريمة التي تقع في دنيا الناس حين تقسو قلوبهم ويجترءون على المعصية..

إن أجل النعم أن نستشعر حلاوة الإيمان، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِيدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّامِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٨﴾

(الحجرات: ٧-٨)

### ٣- المرء مع من أحب

المثل

العليا ذات أهمية قصوى فى حياة البشر، والقذوة الحسنة ذات أثر بالغ فى التربية الإنسانية، ولكى نعرف مجد الأمم وطموح الأفراد علينا أن ننظر إلى ما يتخذونه من مثل وما يقتفون أثره من قدوة..

فإذا اتخذت الأمة أو الأفراد مثلها العليا من رجال لهم شرف الحياة وشرف الممات، ورجال لهم تضحيات المخلصين وبذل الصادقين، ورجال لهم طهارة القلب ونجابة العقل وصالح العمل.. فإن مستقبلا زاهرا لهذه الأمة أو هؤلاء الأفراد..

وإذا كانت المثل هزيلة، والقذوة خبيثة، والسلوكيات طائشة، وحياة الناس فى لهو، وكبراًؤهم بلا خلق أو فضيلة، فتلك أمة بلامستقبل، وذلك جيل بلا غد، وسحقاً لهذا المجتمع..

ويحدثنا أنس بن مالك وهو خادم رسول الله ﷺ، خدمه عشر سنين، فما قال له الرسول ﷺ أف قط، ولا لشيء صنعه لم صنعته، ولا لشيء تركه لم تركته.. يقول أنس: بينما أنا ورسول الله ﷺ خارجين من المسجد فلقينا رجلاً عند سدة المسجد، فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال الرسول ﷺ: (ما أعددت لها) فكان الرجل استكان ثم قال: يا رسول الله ما أعددت لها كبير صلاة ولا صدقة ولكنى أحب الله ورسوله، قال ﷺ: (فأنت مع من أحببت)، قال

أنس: فما فرحنا في الإسلام فرحاً أشد من قول رسول الله: (أنت مع من أحببت) فانا أحب النبي وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم.. (رواه مسلم).

فتية المؤمن أبلغ من عمله، ومن سار على الدرب وصل، فقد أحب الرجل الله ورسوله حباً جفاً، والتزم بالطاعة بلا تفريط، لكنه قد لا يبلغ المرتبة العليا في الوفاء بتلك الطاعة، وهنا يصل به الحب إلى ما لم يصل به العمل.. فالمرء مع من أحب. ويسعد المسلم بهذه البشرى كما سعد أنس، ويفرح الفرح كله، ويجاهد نفسه، وعلى الله قصد السبيل..

وفى صحيح البخارى أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم. فقال ﷺ: (المرء مع من أحب).

#### ٤. ثواب المحبة لله

هناك وعد إلهي بأن حبيب الله يحبه الناس، وأن المرء الذي يقيم علاقاته الاجتماعية بصفاء ونقاء وطهر تحفظه عناية الله ورعايته وتحفه الملائكة، ويظل موفقاً مسد الخاطر، ملهم القلب والعقل. وبالعكس فإن الإنسان المتمرد على طاعة الله يكون عدواً لنفسه ظالماً لها، بغيضاً إلى الناس، لا يستريح أحد لجالسته، ولا يطمئن إنسان لمصاحبه..

وفى صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ : (إن الله تعالى إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى السماء فيقول إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول فى الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم ينادى فى أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه فيبغضه أهل السماء ثم توضع له البغضاء فى الأرض).

ووسط أهوال القيامة وشدائدها تظهر آثار المحبة تكريماً إلهياً على رءوس الأشهاد، ففى صحيح مسلم: قال رسول الله ﷺ : (إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالى؟ اليوم أظلم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى).

بل إن للمتحابين لله وفى الله منزلة عظيمة تكون محل إعجاب الأنبياء والشهداء، ويتلفت إليهم الخلق جميعاً لمكانتهم من الله عز وجل.. ففى حديث رواه أبو داود، قال رسول الله ﷺ : (إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء تغيبهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانتهم من الله)، قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال: (قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، ولا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، وقرأ هذه الآية: ﴿الْآيَاتِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس: ٦٢).

إن أصحاب هذه المنزلة السامية جمعتهم الطاعة لله، وألف بين قلوبهم الإيمان، وتعالوا فوق العصبية المقيتة وتساموا فوق الماديات الرخيصة..

إن المحبة لله وفى الله تتخطى حجب الزمان والمكان لتجمع الناس على كلمة سواء..

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٧٣﴾﴾

(آل عمران: ١٠٣)

#### ٥- إفشاء السلام يعمق المحبة

إن للمحبة لله وفى الله آداباً تعبر عنها، وتنمى جذورها، وتجعلها أكثر نماءً وأبقى ذكراً وأخلد أثراً..

من هذه الآداب إفشاء السلام، وفى صحيح مسلم يقول الرسول ﷺ: (والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم).

فالرسول الكريم ﷺ يضع المعالم ويحدد الطريق، فالجنة سلعة الله الغالية؛ فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهذه الجنة يرثها المؤمنون الصادقون كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي

أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ (الزخرف: ٧٢)

ولن يتحقق الإيمان إلا بالحب لله وفي الله، وقد قال ﷺ :  
(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

ولكى نصل إلى هذه الغاية النبيلة نحتاج إلى إقضاء السلام..  
لكن ماذا يعني إقضاء السلام؟ هل هو مجرد كلمة (السلام عليكم)؟  
ما أهونها إذن!!

إن إقضاء السلام له معنى عميق يتغلغل إلى قرار مكين في القلب  
الإنساني، إنه يعني قلباً طاهراً نقيّاً تقياً لا يعرف حسداً ولا ضغينة،  
إنه يعني الصّح والتسامح والعفو؛ إنه يعني الأمن والأمان  
للناس جميعاً.

هنا يحق لنا أن نقول نحن نسعى لإقضاء السلام وإشاعة الأمن،  
وتأتى الكلمة بعد ذلك معبرة عن حقيقة يحنو عليها القلب ويعيش  
الإنسان بها ولها..

وأخرج الإمام أحمد والنسائي قصة طريفة معبرة، فقد قال  
الرسول ﷺ لأصحابه ذات يوم: (يطلع عليكم الآن رجل من أهل  
الجنة)، فطلع رجل من الأنصار تنطفّ لحيته من وضوئه قد علق  
نعليه بيده الشمال، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك  
الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل  
مقالته أيضاً فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فأراد عبد الله

ابن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن يتعرف إلى عبادة هذا الرجل التي جعلته من أهل الجنة، فذهب إلى الرجل وادعى مخاصمة بينه وبين أبيه وطلب من الرجل أن يستضيفه ثلاثة أيام، فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر ولم يسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الليالي الثلاث كاد عبد الله بن عمرو أن يحتقر عمل الرجل، فصارحه بما فى نفسه فقال الرجل: ما هو إلا ما رأيت غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشاً ولا أحمد أحداً على خير أعطاه الله، فقال عبد الله: هذه التى بلغت بك، وهذه التى لا تطاق..

### ٦- النصيحة حب

من منطلق الحب لله وفى الله تأتى قضية النصيحة ودعوة الخير، فالمسلم حين يدعو إلى الله تعالى ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، إنما يؤكد حبه لأخيه الإنسان فى أسمى صورته وأجل معانيه، فلولا الحب ما دعونا إلى الله ولولا الحب ما كانت النصيحة المخلصة.

وذاث يوم أخذ الرسول ﷺ بيد معاذ بن جبل رضى الله عنه وقال: (يا معاذ والله إنى لأحبك ثم أوصيك، يا معاذ: لا تدعن فى دبر كل صلاة تقول: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) (رواه أبو داود والنسائى بإسناد صحيح).

انظر كيف أخذ الرسول ﷺ بيد معاذ؟ وكيف قال له: والله إنى لأحبك؟ ليقول له: إنها نصيحة محب!!

وجاء فى مسند الإمام أحمد عن أبى أمامة قال: قلت يا نبي الله ما كان بدء أمرك؟ قال: دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمى أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام).

هذا وهناك ارتباط آخر بين إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، فقد جمع بينهما الشبه الخلقى فكان رسول الله ﷺ أقرب الناس شَبهاً بإبراهيم عليه السلام. وفى حديث الإسراء ثبت أن النبي ﷺ قال: (عرض على الأنبياء فإذا موسى ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى بن مريم فإذا أقرب من رأيته به شَبهاً عروة بن مسعود الثقفى، ورأيت إبراهيم فإذا أقرب من رأيته به شَبهاً صاحبكم يعنى نفسه، ورأيت جبريل فإذا أقرب من رأيته به شَبهاً دحية الكلبي).

وظل هذا التشابه فى الأخلاق والأفعال والصفات، وهذا التلاقى والارتباط بين أبى الأنبياء وخاتمهم، حتى إن الرسول ﷺ عندما جعل المدينة المنورة حرماً آمناً كان متأسياً بإبراهيم الخليل..

ففى الموطأ عن أبى هريرة أنه قال: (كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى رسول الله ﷺ، فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: اللهم بارك لنا فى ثمرنا، وبارك لنا فى مدينتنا، وبارك لنا فى صاعنا، وبارك لنا فى مدنا.. اللهم إن إبراهيم

عبدك وخليتك ونبيك ، وانى عبدك ونبيك ، وإنه دعاك لمكة وانى  
أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة ومثله معه. ثم يدعو أصغر  
وليد يراه فيعطيه ذلك الثمر).

وفى حديث آخر فى الموطأ : عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ  
طلع له أحد فقال : (هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ ، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ  
حَرَمَ مَكَّةَ ، وَأَنَا أَحْرَمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا).  
وهكذا يجىء الاقتران فى الصلاة على سيدنا محمد بالصلاة  
على سيدنا إبراهيم تأكيداً لهذه المعانى كلها..



وهذه هي فلسفة الدعوة إلى الله عز وجل.

وإذا كان رسول الله ﷺ يقول: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). فليست المسألة وقفًا على مآكل ومشارب وملابس، وإنما كما أحب لنفسى الهداية والاستقامة والرشد فأنا أحب ذلك للناس كافة وأحرص على أن أدعوهم إلى الله، فإن أعز المنى فى الإيمان وإن السعادة فى التقوى..

إن الدعوة إلى الله تعالى ليست تلوًا على رقاب الناس، وليست لعنات تصب عليهم، وليست كهنوتًا أسود يتحكم فيهم..

وكم كان رسول الله ﷺ حريصًا على هداية قومه حتى نزل قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنكَ بِذَنبِكَ عَلَىٰ عِتَابِ رَبِّكَ مُبِينٌ لِّئَلَّا تُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف: ٦)

إن الدعوة إلى الله تعالى إنقاذ للداعى والمدعو لكى يعيش الجميع سعداء بدين الله مستبشرين بنعمة الله وفضله فى الدنيا والآخرة..

وفى تشبيهه رائع وجميل روى النعمان بن بشير أن النبى ﷺ قال: (مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا).

وصدق الله العظيم إذ يقول على لسان شعيب عليه السلام:  
**﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ  
 أَنْتَبُ﴾** (٨٨)

### ٧- التزاور في الله

ومن ثمرات المحبة لله وفي الله التزاور، وهو قيمة اجتماعية نبيلة حين يقوم على الأمانة والإخلاص بحيث يصون الزائر عرض أخيه المزور وماله ونفسه، فلا يكشف سترا، ولا يتبع عورة، ولا يقف موقف ريبة.. وفي حديث رواه مسلم: (أن رجلاً زار أخاه في قرية فأرصد الله على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها؟ قال: لا، غير أني أحبه في الله، قال: فإني رسول الله إليك، إن الله قد أحبك كما أحبته فيه).

وفي حديث رواه أحمد عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يروى عن ربه عز وجل: (حققت محبتي للمتحابين في، وحققت محبتي للمتواصلين في، وحققت محبتي للمتبادلين في). والزائر في الله يلتزم أدب الزيارة المشار إليه في قوله تعالى:

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا  
 عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** (٢٧) فإن لم تجدوا فيها أحداً

فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارجِعُوا فَارجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ  
 بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ (النور: ٢٧-٢٨)

فالملطوب شرعاً من الزائر أن يستأذن ثلاث مرات، الأولى لإعلامهم أن الباب طارقاً، والثانية ليتهيئوا، والثالثة ليفتحوا.. ويراعى التراخي بين هذه المرات الثلاث لإفساح المجال لأهل البيت، وينبغي أن تكون مسمعة، ولا يزداد عليه إلا إذا غلب على الظن أنهم لم يتمكنوا من السماع..

وينبغي للمستأذن ألا يقف تلقاء الباب بوجهه، ولكن ليكن الباب عن يمينه أو يساره حتى لا تقع عينه على من خلف الباب مباشرة، فإن الاستئذان من النظر - كما ورد بذلك الحديث - أى خشية فجأة النظرة..

فإن أذن له بالدخول دخل أميناً فى بصره وسمعته، فإن لم يجد أحداً أو لم يسمح له بالدخول أو لم يجد صاحب الإذن المعتبر شرعاً بأن وجد امرأة لا يصح الخلوة بها أو طفلاً لا يعبر عن أهل البيت فليرجع ولا يسخط على أهل الدار، فإن للناس أعذاراً وإن للبيوت أسراراً، وخير الناس أعذرهم للناس..

والزائر فى الله ولله يختلف عما يسمى الآن بصديق الأسرة، ذلك الصديق الذى يدخل فى غيبة المحارم، ويجلس مع النساء بلا حياء

وعلى غير ما أحل الله ، ويظل يعبث بالأعراض والأموال والأنفس  
وينسى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ آيَاتَ اللَّهِ وَيَتَّقُونَ﴾ (سورة العلق: ٤)

وينسى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ (١١)

(المائدة: ٩٩).

﴿﴾

## المبحث الرابع

# حب الشهوات

- تزيين الشهوة
- مفهوم الشهوة
- حب النساء
- حب البنين
- حب الأموال

obeikandi.com

## حب الشهوات

هناك

آية كريمة من كتاب الله تعالى جمعت بين الخب والشهوة، وسأقت ذلك في مقارنة بين شهوات الدنيا وطيبات الآخرة، وحفزت الإنسان كي ينفى عن الدنيا ويسمو إلى معالي الأمور، وتأكدت للمرء أن الدنيا ليست نهاية المطاف للرحلة الإنسانية وأن هناك موعداً لن يخلف لنعيم لا يبلى وقرة عين لا تنقطع..

قال الله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّكَاحِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ ١٤﴾ قُلْ أَوْيَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لَكُمُ الَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ١٥﴾

(آل عمران: ١٤، ١٥)

التزيين

التزيين هو التجميل والتحبيب، والذي زين للناس محبة هذه الأشياء هو الله تعالى، لأنه جل شأنه خلقها ابتداءً لمنفعة الإنسان واستخدامها من خلال المنهج الإلهي عمارةً للعالم وللآخرة..

وقد جاء إضافة للتزيين إلى الله تعالى بمعنى الخلق في آيات منها:  
قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ  
الرِّزْقِ﴾ (الأعراف: ٣٢)

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ  
عَمَلًا﴾ (الكهف: ٧)

والقول بإضافة التزيين هنا إلى الشيطان غير دقيق لأن هذه الأشياء  
المذكورة في الآية الكريمة من النساء والبنين والأموال ليست كلها  
في إطار التحريم وإنما مرد الحكم الشرعي إلى أسلوب الإنسان في  
امتلاك هذه الأشياء والانتفاع بها، فقد يكون مباحاً، وقد يكون قربة  
إلى الله، وقد يكون حراماً..

وتزيين الشيطان مقصور على الكفر والمنكر والفحشاء، قال الله تعالى:  
﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣)

(الأنعام: ٤٣)  
وقال جل شأنه: ﴿وَجَدْتُهُمْ قَوْمًا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ  
الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (النمل: ٢٤)  
وإذا جاءت آيات قرآنية تضيف تزيين الشر إلى الله تعالى فيكون بمعنى

التمكن ومنع القدرة للإنسان على هداية النجدين، كما قال الله تعالى:  
﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنسَبُ لَهُمْ بَعْدَ مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ﴾ (١٠٨)

(الأنعام: ١٠٨)

وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ (النمل: ٤)

فالله تعالى منح الإنسان وسائل اكتساب الخير والشر كي يتحمل المسؤولية ويناله الجزاء ثوابا أو عقابا..

## الشهوة

الشهوة هي الرغبة وقد يعبر بها عن الحب بمعنى الميل الشديد فيقال اشتهى الطعام أى أحبه..

وإضافة الحب إلى الشهوة فى الآية الكريمة (زين للناس حب الشهوات) يفيد أنهما متغايران، لأن الشئ لا يضاف إلى نفسه، فالحب إرادة إنسانية. والشهوة فطرة إلهية فإذا أحب الإنسان الشهوة نظر فى ذلك، هل هو حب يبيحه الشرع أو يبغضه؟ وقد قال رسول الله ﷺ - فى حديث رواه الإمام مسلم -:

وفى بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله أىأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟! قال: أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر؟! فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر.

والبضع -بضم فسكون - يراد به الفرج أو الجماع. فمعاشرة الرجل لتحليلته بنية العفاف وطلب الذرية له أجر وثواب، ولما استبعد الصحابة فهم هذا المعنى الشريف لقيامه على لذة الشهوة وفهمهم أن الثواب منوط بما فيه مخالفة للنفس والهوى- أزال الرسول ﷺ استبعادهم

وتعجبهم بإحالتهم إلى أمر واضح مقرر يعملون به وهو حصول الوزر والعقاب عند ممارسة الفاحشة والزنا، فكذلك يحصل الثواب والجزاء الحسن عند قضاء الشهوة في الحلال.

وهذه الشهوات السبع المذكورة في الآية الكريمة (زين للناس حب الشهوات) لها جوانب إيجابية ينبغي الحرص عليها والتطلع إليها والحب لها، وجوانب سلبية ينبغي البعد عنها والسمو عليها والبغض لها..

### حب النساء

قدم هذا الحب لأنه أساس الوجود، وبه بدأت الحياة البشرية، فقد خلق الله آدم وحواء وأسكنهما الجنة ثم أهبطهما إلى الأرض لتنتشر الذرية ويمتد التناسل..

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفُؤَارِيكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾

(النساء: ١)

والإسلام - والإسلام وحده - هو الذي يجعل لحب النساء معنى شريفاً ويضعه في منزلة سامية، وقال رسول الله ﷺ - كما رواه ابن ماجه -: (ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة سالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته).

وجعل الرسول ﷺ حب النساء في مقدمة الحب الشريف فقال - كما رواه أحمد - حبيب إلى النساء والطيب وجعلت قرّة عيني في الصلاة.

فكان حب النبي للنساء إعلاناً لشرف الأعراس..  
وكان حب النبي ﷺ للطيب إعلاناً لطهارة الأبدان..  
وكانت قرة عين النبي في الصلاة إعلاناً للعمق الروحي  
للإنسان..

إن ممارسة الغريزة في الإسلام لا تكون إلا بالزواج، وهذا الزواج هو سكيمة عاطفية ونفسية للطرفين، وتبقى هذه السكيمة لدى المؤمنين الأتقياء بأحد أمرين: هما المودة والرحمة.. والمودة هي خالص الحب، والرحمة هي خالص الشفقة، والزواج يبدأ بالمودة. فإذا فترت المودة لعارض من العوارض استيقظت الرحمة لتجمع الشمل وتقود الأسرة..  
قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴿٢١﴾﴾  
(الروم: ٢١)

فإن تقطعت الأسباب كلها واستنفدت وسائل العلاج بأجمعها ولم تبق بقية من مودة أو رحمة فالطلاق أعدل الحلول وأحكمها. قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَفْرَقَا يَغْنِ اللَّهُ كِلَا مِنْ سَعْيِهِ، وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣﴾﴾  
(النساء: ١٣٠)

لكن الحضارات الأخرى قديماً وحديثاً تنظر إلى المرأة نظرة حيوانية، وتجعل ممارسة الغريزة هي أسمى ما يسعى إليه الذكر والأنثى بلا ضوابط أو حياء، وما زالت المرأة إلى اليوم تمتهن امتهاناً

أشد من الجاهلية الأولى، فتقدمها وسائل الإعلام عارية أو شبه عارية ترويحاً لسعة أو دعوة لنكر..

إن الحضارة الحديثة وضعت المرأة فى أقفاص زجاجية أمام واجهات المحال. كما توضع الأحذية ليختار منها ساقطو المروءة وعاهرو السلوك، إن الحضارة الحديثة ساقت المرأة عارضة للأزياء تكشف أكثر مما تغطى من جسدها وعورتها، وتتحرك كالآلة الصماء، تحسب حركتها وتقاس مشيتها وتدفع إلى الأمام وإلى الخلف فى حركة هستيرية فاقدة للوعى والكرامة..

إن الحضارة الحديثة قدمت المرأة على خشبة المسرح كالكلب اللاهث تتأوه وتتكسر وتئننى. تتسول جنسياً وسط ذئاب بشرية يقبلون يدها أول الليل ويطئونها بنعالهم آخر الليل..

إن الحضارة الغربية الحديثة أباحت الخليلات والأخدان<sup>(١)</sup> والسفاح والشذوذ، حتى أصبح الإنسان أحمق دركة من حيوان الغابة، فإن الأنثى من الكلاب وسائر الحيوانات لا تعارس الغريزة إلا للنسل فقط وفى مواسم خاصة ولم نسمع أن هناك شذوذاً فى عالم الحيوان..!!  
إن لحب النساء فى الإسلام ضوابط وأخلاقيات تتناسب مع كرامة الإنسان حتى يكون الحب ظاهراً عفيفاً..

فعلاقة الرجل بالمرأة الأجنبية فى الإسلام قائمة على الحياء، والحياء خير كله، فلا تبرج ولا سفور ولا خضوع بالقول ولا تخنث،

(١) الخدن: الصديق فى السر للذكر والأنثى.

ولا خلوة ولا فوانسة حديث، قال الله تعالى في خطاب عام وتوجيه شامل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلْبِيزِهِنَّ ذَلِكَ آدْفَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ (الأحزاب: ٥٩)

وفى صحيح الحديث أن رسول الله ﷺ قال: (لا يخلون رجل بإمارة إلا مع ذي محرم. فقام رجل وقال: إن امرأتى خرجت حاجة وقد اكتتبت في غزوة كذا فأمره الرسول ﷺ أن يرجع ويحج مع امرأته. والحب بمعنى ما استقر في القلب من شعور معين نحو الفتاة أو الفتى لا يتعلق به حكم شرعي، وإنما يتجه الحكم إلى آثار ذلك الشعور وما يترتب عليه، فإن أدى إلى معصية من خلوة أو متعة أو ما شاكل ذلك فهو حرام.

وهناك آية في كتاب الله عز وجل وردت عقب الحديث عن عدة المتوفى عنها زوجها يمكن أن تكون حكما في موضوع الحب، وهى قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تَأْوِئُوهُنَّ مِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ (البقرة: ٢٣٥)

فقد رفع الله الحرج عن عباده فيما أكنته النفس وأشترط علينا  
ألا نقضى إلى المرأة بحديث القلب حتى لا يحرك الشيطان عوامل  
الفتنة..

وإذا ألقى الله فى قلب امرئ، رغبة الزواج من امرأة فله أن ينظر  
إليها ويكرر النظر بلا خلوة حتى يتأصل الحب الدافع إلى الزواج، وفى  
الحديث الشريف أن المغيرة بن شعبه خطب امرأة فقال له النبى ﷺ :  
(انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم<sup>(١)</sup> بينكما أى يحصل بينكما التوافق  
والمودة) (أخرجه الترمذى والنسائى وصححه ابن حبان)

وهذا الحق ثابت للرجل والمرأة. فقد أكد الرسول ﷺ تأكيداً قوياً  
ضرورة مراعاة الميل القلبى لدى المرأة، وجاء ذلك فى أمر ونهى وحكم،  
أما الأمر فقد جاء فى صحيح الحديث أن النبى ﷺ قال: (الأيـم أحق  
بنفسها من وليها، والبكر تستأذن فى نفسها وإذنها صماتها).

ومن المعلوم لغة أن الأمر فى صيغة الخبر أبلغ دلالة على الأمر.. وأما  
النهى ففى رواية صحيحة أخرجها الإمام مسلم قال رسول الله ﷺ :  
لاتنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن، قالوا:  
يا رسول الله وكيف إذنها؟ قال: أن تسكت.

والأيم هى التى سبق لها الزواج، وطلقت أو مات عنها زوجها،  
والبكر هى التى لم يسبق لها الزواج، فالبكر أكثر حياء من الأيم،

(١) آدم : بوزن حزب ، وآدم الله بينهما : أصلح فالثلاثى والرابعى بمعنى واحد  
والفعل فى الحديث يقرأ بالبناء للمجهول.

ومتى لم تبد إعراضاً ولم يظهر عليها أعراض الرقص كان ذلك إذناً منها لوليها بالاستمرار فى إتمام الزواج.

وأما الحكم فقد ثبت فى الصحيحين أن خنساء بنت خدام زوجها أبوها رجلاً فكرهت ذلك وأتت النبى ﷺ فقالت: إن أبى أنكحنى (أى زوجنى) وإن عم ولى أحب لى (أى إنها رفضت رأى أبيها وأرادت أن تتزوج عم أولادها اليتامى حتى يكون أحن عليهم فحكم رسول الله برد نكاحها من الرجل الذى اختاره أبوها.

وجاء فى كتب السنن أن جارية بكرا جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن أبى زوجنى من ابن أخيه ليرفع فى خسيسته، فجعل الأمر إليها وخيرها، فقالت: قد اخترت ما صنع أبى ولكنى أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء.

إن الشورى فى البيت المسلم ذات أهمية قصوى وبخاصة فى أمور الزواج، والحياة لا تبنى على القهر، ولا بد أن يبدأ الزواج برغبة صادقة أمينة من الطرفين..

ولا يعنى ذلك أن ندع الفتاة لتهورها العاطفى تهوى به إلى مكان سحيق، فإن العقل فوق العاطفة، وإن الخبرة فوق التهور، وإن الوعى فوق الخداع، ولا خاب من استخار ولا ندم من استشار.

وفى إطار قيم المجتمع الإسلامى وفى ظلال الحرص على العفاف الشريف لا بأس بين المؤمنين أن تبدى المرأة رغبتها فى الزواج من رجل بعينه، تسأله أن يتزوجها.

وقد ترجم البخارى فى صحيحه فقال: باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح، وساق حديثين:

الأول: عن ثابت البغافى: قال: كنت عند أنس - وعنده ابنة له - قال أنس: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تعرض عليه نفسها قالت: يا رسول الله ألك بى حاجة، فقالت بنت أنس<sup>(١)</sup>: ما أقل حياءها واسوأ تاه قال: هى خير منك رغبت فى النبى ﷺ فعرضت عليه نفسها.

الثانى: عن سهل بن سعد أن امرأة عرضت نفسها على النبى ﷺ فقال له رجل: يا رسول الله زوجنيها، فقال: ما عندك؟ فقال: ما عندي شيء، قال: اذهب فالتمس ولو خاتما من حديد، فذهب ثم رجع فقال: لا والله ما وجدت شيئا ولا خاتما من حديد، ولكن هذا إزارى ولها نصفه.

قال سهل: وما له رداء، فقال النبى ﷺ: وما تصنع بإزارك؟ إن لبستَه لم يكن عليها منه شيء، وإن لبستَه لم يكن عليك منه شيء. فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام، فرآه النبى ﷺ فدعاه - أودعاه - فقال له: ماذا معك من القرآن؟ فقال: معى سورة كذا وسورة كذا - لسور بعددها - فقال النبى ﷺ: (أملكناكها بما معك من القرآن).

(١) بنت أنس لم تكن حاضرة القصة على عهد رسول الله ﷺ لأن أنسا كان شابا يومئذ ولكنها كانت حاضرة الرواية عندما حكاها أنس بعد انتقال الرسول الكريم ﷺ إلى الرفيق الأعلى - والله أعلم.

وجاء في بعض الروايات: انطلق فقد زوجتكها فعلمها من القرآن. فالإفصاح عن الرغبة في الزواج الشريف، لا يعيبها شيء من الوجهة الدينية، فالزواج مودة ورحمة وقائم على كلمة الله وأمانته ومنوط برغبات النفس وميولها.

كل ما ننبه إليه ونؤكد أنه إبداء هذه الرغبة في خلوة أو بعيداً عن المحارم يعد خضوعاً بالقول وبأباً من أبواب الفتنة.

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي

قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ (الأحزاب: ٣٢)

كما ننبه إلى أن الإسرار برغبة المرأة في رجل له أسرة ليهدمها وتختص هي به وتنزعه من زوجه وأولاده - هذه الرغبة فاسدة مقسدة. وقد قال رسول الله ﷺ: (لا يحل لإمرأة أن تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحتها<sup>(١)</sup> فإنما لها ما قدر لها).



(١) الصفحة: إناء من آنية الطعام.

## حب البنين

البنون هم الذكور فى مقابلة الإناث..  
وكان الناس فى الجاهلية فريقين:

فريقا يقتل البنين والبنات خوفاً للفقر، وفيهم نزل قول الله تعالى:  
﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا نَحْنُ نُزَوِّجُهُمْ وَإِنَّا لَكْرِيمٌ إِن قُلْتُمْ إِنَّ قَوْلَهُمْ كَانَ  
خِطَاءً كَبِيرًا﴾ (٣١: الإسراء)

والولد يشمل الذكر والأنثى فكل مولود ولد..  
وفريقاً يقتل البنات فقط خوفاً العار، وفيهم نزل قول الله تعالى:  
﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ  
مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيَسْكَبُ عَلٰى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾  
(النحل: ٥٨ ، ٥٩)

وشاع فى الجاهلية أن البنين هم الأولاد الحقيقيون، يمتد بهم  
النسل باسم الأسرة والعائلة. أما البنات فينتهى نسبهن إلى الأسرة  
بالزواج، فما تناسل منهن ليس من العائلة على حد قول القائل:  
بنوننا بنو أبنائنا وبنو بناتنا أبناء الرجال الأباة  
فحب البنين من الشهوات التى تدفع إلى الجريمة بالتمييز ضد  
المرأة أو الاحتقار لها..

لكن الإسلام جعل الود مطلقاً - ذكراً كان أم أنثى - من نعم الله التي يمنحها الله تبعاً للحكمة. فقال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثَاءً وَإِنثَاءً لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ۗ أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذَكَرًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝٥٠﴾ (الشورى: ٤٩، ٥٠)

وأكد الرسول ﷺ أن رعاية البنات لها المنزلة والفضل والثبوة فقال: (من بلى من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن كن له ستراً من النار). وجعل الرسول ﷺ دعاء الولد بشقيه الذكر والأنثى من الصدقات الجارية فقال: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له).

وعلمنا القرآن أن دعاء عباد الرحمن هو بالذرية الطيبة وليس بالذكر وحده. فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قَرَّةً أَعْيِبْ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤﴾ (الفرقان: ٧٤)

ولعل حكمة بالغة تشد المسلم إلى آفاق القيم العليا حين يدرك أن الرسول ﷺ وهو خير خلق الله جميعاً، لم يمتد نسله إلا من خلال البنات. فقد مضى أبناؤه في حياته الشريفة، ولم يستمر من ذريته إلا أبناء السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها من علي بن أبي طالب رضى الله عنه.

## حب الأموال

**شهوة** حب الأموال تتعلق بالنقدين الذهب والفضة وبخاصة إذا كانا قناطر مقنطرة أى بكميات وفيرة وأعداد كبيرة.. أو تتعلق الثروة الحيوانية كالخيل المطهمة الحسان والأنعام المأكولة والمتفجع بألبانها وأوبارها وأشعارها والمستخدمة فى الحرث والسقى.. أو تتعلق بالثروة النباتية مما تخرج الأرض من ثمارها..

هذا الحب إن كان على مقتضى الشرع والفطرة فهو محمود، وهو من الخير الذى يسوقه الله للإنسان، وإن خالف الشرع والفطرة فهو من الترف والفسق والانحراف..

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾  
 وقال جل شأنه: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾  
 (الحديد: ٧) (الإسراء: ١٦)

فهلاك الأدم مرتبط بإعراض المترفين عن دعوة الحق وخروجهم عن جادة الطريق واستكبارهم بنعم الله على خلق الله..

وفى صحيح البخارى بسنده عن أبى ذر رضى الله عنه قال: كنت أمشى مع النبى ﷺ فى حرة<sup>(١)</sup> بالمدينة فاستقبلنا أحد. فقال ﷺ:

(١) الحرة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت

يا أبا ذر قلت: لبيك يا رسول الله، فقال: ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهباً يمضي على ثلاثة أيام وعندي منه دينار إلا شئ، أرصده لدين، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه.. ثم سار فقال: إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال بالمال هكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه، وقليل ما هم..

### طغيان المادة

ذكر القرآن المجيد ألواناً من قصص السابقين عبرة لأولى الألباب، ودروساً في الحياة بمتقابلاتها من إيمان أو كفر، وغنى أو فقر، وصحة أو مرض، وعز أو ذل..

وقارون كان من قوم موسى عليه السلام، ممن آمن برسالته، وله صلة قرابة تجمعهم معه، ولكنه لم ينتفع بالإيمان، ولم يحرص على شكر النعمة التي منحها الله تعالى له أموالاً كثيرة فبغى على قومه وظنى واستكبر وعتا عتواً كبيراً..

وقد عبر القرآن المجيد عن كثرة مال قارون بقوله تعالى: ﴿وَأَيُّنَّهُ مِنْ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ (القصص: ٧٦)

والمعنى أن مفاتيح خزائن أمواله بلغت من الكثرة حداً يصعب معه على مجموعة من الرجال الأشداء ضبطها ومعرفتها، أو المراد بالمفاتيح أسباب تحصيل المال، وسبل اكتسابه، وفنون جمعه بحيث كان قارون وحده يعمل أكثر من عمل، ويكسب من أكثر من وجه،

ويسعى فى أكثر من اتجاه، الأمر الذى لا يستطيع القيام به مجموعة من الرجال الأقوياء..

والإنسان العاقل يقابل النعمة بالشكر، ويستخدم مال الله فى منفعة عباد الله، ويسعى بثروته فى خدمة مجتمعه وبيئته..

وقد حاول علماء قومه وحكماؤهم أن يوجهوا النصيحة لقارون ويعلموه كيفية استثمار المال فى وجوه الخير، وكيفية التعامل مع الثروة فقالوا: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۗ﴾ وَأَتَّبِعْ قِيمَاءَ أَتْلُكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُقْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

(القصص / ٧٦-٧٧)

لقد نصحه علماء قومه بتصريف المال فى وجوه الخير، والتمتع به على وجهه المباح مع ترك البطر واستغراق الهمة فى طلب الدنيا.. لكن الرجل نسى فضل الله عليه، وآثر متاع الحياة الرخيص، وأغواه الشيطان فتنكر للخالق الرزاق المعطى المانع ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ (القصص: ٧٨)

أراد به علمه بوجوه المكاسب والتجارات وقدرته على إدارة الأعمال، أو أراد به أن المال إنما وصل إليه على جهة التكريم الإلهى لشخصه وذاته وأن عطاء الله له فى الدنيا دليل كرامته فى الآخرة..

وهنا تأتي الآيات اقرآنية مذكرة بعبارة التاريخ، فيقول الله تعالى :  
**﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً  
وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾** (القصص : ٧٨) ..  
إن التاريخ ملئ بقصص الطغاة المتكبرين الذين أمهلهم الله ثم أخذهم  
أخذ عزيز مقتدر، لقد كانوا ملء السمع والبصر وملثوا الدنيا ضجيجًا  
وصخبًا فمزقهم الله شر ممزق وأصبحوا أثر بعد عين ..

إن قارون لم يكلف نفسه عناء النظر إلى العواقب، وأغواه الشيطان،  
وأغراه المال فأصابه بالصلف والكبر، وقد وصف القرآن هذه الحال فقال :  
**﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾** (القصص : ٧٩) وهذا الإجمال في التعبير  
القرآني يفتح المجال واسعًا لتصور هذه الزينة التي تباهى بها قارون  
على قومه وخرج عليهم بها استكبارًا في الأرض وفسادًا .. ووقف  
الناس أمام زينة قارون فريقين :

( أ ) ضعاف الإيمان الذين بهرتهم مظاهر البذخ والجاه، وظنوا أن  
قارن ملك ناصية السعادة، واحتقروا أنفسهم حياله **﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ  
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا لِلْأُولَئِكَ أَقْرَبُ قَدَرُونَ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾**  
(القصص : ٧٩)

(ب) أصحاب الإيمان الصادق والعلم الصحيح الذين أدركوا حقيقة  
الحياة والسعادة وفتنوا إلى أن الإيمان والعمل الصالح والصبر على  
مقابلات الحياة هو عين الحكمة وأساس السعادة **﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا**

الْعِلْمَ وَيَلْصِقُكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِنَهَا إِلَّا  
الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ (القصص : ٨٠)

وبين عشية وضحاها جاء بأس الله الذي لا يرد عن القوم الفاسقين،  
وكانت العاقبة الوخيمة والنهاية الأليمة.. قال تعالى: ﴿فَنَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ  
الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ فَتَةٍ يَصُورُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾  
(القصص : ٨١)

وهنا أدرك الناس حكمة الحياة وفلسفة الوجود، فالحياة قائمة  
على الابتلاء بالخير والشر، وقضية المال كثرة أو قلة لا علاقة لها  
بالسعادة الحقيقية، فإن الله يمنح المال لمن يحب ومن لا يحب،  
ولا يمنح الدين إلا لمن أحب.. قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا  
مَكَانَهُمْ بِالْآثَمِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ  
وَيَقْدِرُ لَوْ أَلَّا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَاً وَيَكَابُ اللَّهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾  
(القصص : ٨٢).. وهنا يؤكد القرآن المجيد الدرس البليغ والحقيقية  
الناطقة فيقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا  
فَسَادًا وَالْعِزَّةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ (القصص : ٨٣)

إن المجتمع في حاجة ماسة كي يدرك أن الترف والبخذ يقضى  
على كرامة الإنسان ويدفعه إلى إنكار الحق والاستكبار على البشر،  
وما وقف في وجه الرسائل الإلهية على مدى التاريخ إلا المترفون  
الذين خدعتهم الثروة وسول لهم الشيطان فقدم لهم تفكيراً سيئاً ومنطقاً

معوجا.. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ (سبا: ٣٤-٣٥)

وعندما نتأمل آيات القرآن المجيد نجد أن أخص صفات أهل الجحيم الترف الذي يجبر إلى الكفر ومنازعة الله تعالى، فم كبريائه.. قال جل شأنه: ﴿وَاصْحَبُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَبُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُورٍ وَحَمِيرٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُورٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحَنِثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ (الواقعة: ٤١-٤٦). وحين اعترض مشركو مكة على ضعفاء المؤمنين وفقرائهم ورفضول الجلوس معهم نزلت آيات القرآن تسفه آراء المستكبرين وثبتت المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ (الكهف: ٢٨). وذات يوم مر رجل على النبي ﷺ فقال لرجل جالس عنده: (ما رأيك في هذا؟) قال: رجل من أشرف الناس، هذا والله حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع، فسكت رسول الله ﷺ ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله ﷺ (ما رأيك في هذا؟) فقال: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب ألا ينكح، وإن شفع ألا يشفع،

